جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة ماستر

آداب ولغة عربية
دراسات أدبية
تخصص أدب عربي قديم

رقم: ق/56

إعداد الطالب:
نور الهدى تاوريريت

يوم: 07/07/2021

القضايا النقدية في رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي

لجنة المناقشة:

بشير تاوريريت	أ. د.	جامعة محمد خيضر بسكرة	رئيسا
الياس مستاري	أ. د.	جامعة محمد خيضر بسكرة	مقررا
عبد الحميد جودي	أ. مح ب	جامعة محمد خيضر بسكرة	مناقشا

السنة الجامعية : 2020 - 2021

شكر وعرفان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد ...

فإني أشكر الله العلي القدير الذي أنعم عليّ بنعمة العقل والدين، حيث أتاح لي إنجاز هذا العمل بفضله، فله الحمد أولا وآخرا.

ووفاءً وتقديرا واعترافا مني بالجميل لأولئك الأخيار الذين تقدموا السبق والركب وكانوا عونا ودعما وسندا في البذل والعطاء خلال هذه الفترة، وفي مقدمتهم المشرف على الرسالة فضيلة الأستاذ الدكتور: مستاري إلياس الذي لم يدخر جهدا في مساعدتي، فله من الله الأجر ومني كل تقدير حفظه الله ومتعه بالصحة والعافية ونفع بعلومه.

الشكر والامتنان لأعضاء لجنة النظام والمراقبة ولجان التصحيح والملاحظين والمدرسين

وفي الختام للجميع التوفيق

إهـداء

أهدي هذا العمل إلى

- ♥ أبي محمد، يا من تشد على يدي كلما صعُبت عليّ الحياة وقستْ..
- ♥ أمي حبيبتي، خليلة فؤادي التي ينحني الحرف حبا وامتنانا لكي، وتقبل الجبال قدمك...

شكرا لرمز التضحية والعطاء، أنرتما كل عتمة، وإن ملأ المشيب عوارضي سأظل طفلة عندكما أتدلل، أدعي الله دائما ألا يذيقني ألم فقدانكما ولا حزنكما، لو بقدرتي لأعدت لكما العمر الذي قصصتماه من عمركما...

- ♥ أختي رتاج، تزرعين الفرح في منتصف وريدي، كنقاء الورد بحسنك، تعادلين مليون نجمة في السماء...
- ♥ إخوتي سندي، سيف، فادي ونجم، أول من يفرح لي، وأول من يقف معي، وأول من يفتقدني، قال رب الكون فيكم

{سنشد عضدك بأخيك} ...

- ♥ ابني رسيم، بذكر اسمك استبشر ويستنير وجهي، أحيا لك ومنك وفيك، لا تخشى دنياك إن الله كافلها...
- ♥ أنتِ، دون ذكرك أتذكرك في غربتك...

حفظكم الله بعينه التي لا تنام

مقدمة

لم ينفصل الأدب الأندلسي عبر قرونه الثمانية عن التراث العربي والإسلامي، فكان للأندلسيين عناية خاصة باللغة وعلومها وآدابها، إضافة إلى الفقه وعلوم الشريعة، وقد استقدم الخلفاء العلماء من المشرق لينقلوا معهم كنوزهم الأدبية فيتأدب بها الكثيرون، وكان للفقهاء في الأندلس سلطان عظيم لدى الدولة، ولدى عامة الناس. وقد تناولوا ما كان معروفًا في المشرق من خطب ورسائل ومناظرات ومقامات، وزادوا عليها، وكان للكُتّاب مزية الجمع بين الشعر والنثر والإجادة فيهما.

تأسست مدرسة أندلسية على يد كوكبة من النقاد، أنعمت بنهضة الحركة النقدية في القرن الثاني الهجري، حيث دار النقد الأدبي في الأندلس في مجالات الدفاع عن الأندلس وأدبها، ولعل التحرر من النموذج الأدبي المشرقي هو الذي حفز الأدباء الأندلسيون على رفض التبعية الأدبية وإلى تعدد محاولات الاستقلال.

ومن أبرز نقاد هذه المرحلة ابن شهيد الذي شهد عصر الفتنة الذي كان فاصلا بين توحيد الأندلس تحت ظل العماريين، وبين ظهور دول الطوائف، وقد ترك آثارا نثرية وشعرية، بل وجعل لنفسه منهجا نقديا، فطالعنا بعمل فريد أبان القرن الخامس الهجري كان به سباقا لأدباء عصره، أسماه "رسالة التوابع والزوابع". رائعته التي نافح وذبَّ أقرانه فيها، لذلك جاء بحثنا موسوما ب (القضايا النقدية في رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي).

واقتضى البحث في موضوع القضايا النقدية لابن شهيد طرح الإشكاليات التالية:

- ☒ من هي هذه الشخصية الأدبية؟
- ☒ ما هي أهم الآراء النقدية التي تطرق إليها ابن شهيد؟
- ☒ وما هي أهم القضايا النقدية التي جاءت بالرسالة؟

وقد دفعني إلى اختيار هذا الموضوع جملة من الأسباب أهمها:

- ✓ إعجابي بالنقد الأندلسي والبحث فيه
- ✓ الاطلاع على جهود الأندلسيين في النقد وخاصة ابن شهيد
- ✓ شهرة رسالة التوابع والزوابع الواسعة

وقد قسمت البحث إلى مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة، حيث خصصت المدخل لحياة ابن شهيد وأدبه ونثره وأهم مؤلفاته.

وأما بالنسبة للفصل الأول الموسوم بـ: آراؤه النقدية، فقد تناولت فيه مسألة البيان وقضية اللفظ والمعنى والسرقات الأدبية إضافة إلى أصناف الأدباء.

أما الفصل الثاني والموسوم بـ: رسالة التوابع والزوابع، فقد خصصته لمضمون الرسالة وسبب تأليفها وقيمتها الأدبية والنقدية وأهم الآراء النقدية فيها.

وللوصول إلى هدفي اعتمدت على المنهج الوصفي لأنه كان بحثي حول شخصية أدبية فريدة، وفي تحليلي للقضايا اتخذت منهجا تحليليا.

وقد اعتمدت في ذلك على مجموعة من المصادر والمراجع منها:

- ✓ رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي
- ✓ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الشنتيري
- ✓ ابن شهيد الأندلسي وجهوده في النقد الأدبي لعبد الله سالم المعطاني
- ✓ تاريخ الأدب الأندلسي لإحسان عباس
- ✓ ديوان ابن شهيد الأندلسي

ومن العوائق التي واجهتني لإتمام بحثي، تشتت الآراء النقدية لابن شهيد في بطون الكتب الأندلسية وصعوبة جمعها.

وأخيرا لا يسعني إلا أن أتقدم بجزيل الشكر للأستاذ الدكتور "إلياس مستاري" لما قدمه لي من نصائح وتوجيهات، وكما أبلغ احترامي للجنة المناقشة التي أتشرف بتقييمها لعملي وإلى كل من أعانني في هذا البحث. وإنما التوفيق من الله.

مدخل: ابن شهيد مولده ونشأته

1. حياته
2. شعره ونثره
3. مؤلفاته

ابن شهيد مولده ونشأته:

أولا: حياته:

فتى أندلسي، من أشهر بلغاء العرب، آتٍ بالعجب في الأدب، هو «أبو عامر أحمد بن أبي مروان عبد الملك بن مروان بن أحمد بن عبد الملك من شُهَيْد، ثم من أشجع وهم بطن من غطفان. ويتحدر من سلالة الوضاح بن رزاح الذي كان مع الضحاك بن قيس الفهري يوم مرج راهط».[1]

كانت ولادته في «بيت أبيه بقرطبة سنة 382هـ أيام المنصور بن أبي عامر».[2]

نشأ متنقلا بين القصور في عائلة مرموقة حيث «كان جد أبا عامر (أحمد بن عبد الملك) من المقربين عند عبد الرحمن بن محمد الناصر فولاه الكور وقاد الصوائف وغزا البشكنس وتولى الوزارة وهو أول من سمي (بذي الوزارتين)». [3]

«وأما والد ابن شهيد فقد كان من شيوخ الوزراء في الدولة العمارية وكان أبو مروان هذا عاملا للمنصور على الجهة الشرقية تدمير مدة تسعة أعوام حتى سئم العمل».[4]

عاش ابن شهيد عيشة مترفة تحت لواء العماريين وكانت بدايات مشوار حياته في قصر أبي عامر المنصور يقول: «وأقل ما أمت به وأنطق عنه، ممتد عنان

---

[1] ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، تحقيق: بطرس البستاني، دار صادر، بيروت، ط3، 1431هـ – 2010م، ص7

[2] أحمد هيكل، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط غرناطة، دار المعارف، بيروت، لبنان، ط 14، 2004، ص 368

[3] عبد الله سالم المعطاني، ابن شهيد الأندلسي وجهوده في النقد الأدبي، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، دط، ص 17

[4] المرجع نفسه، ص 19

الأمل كارعا في بحر الرجاء لا الوشل، من مواتي بالمنصور جده – رضي الله عنهما – أني نشأت في حجره وربيت في قصره، وارتضعت ثدي كرائمه، واعتجرت رداء مكارمه، واغتذيت من فيه أكلا زقنيه، وماءً علَنيه، فصرت من أفراخ نعمائه الحمر الحواصل، ولحقت بأخوة أبناءه الغر العياهل». [1]

استولت عائلة ابن شهيد على أهم الوظائف والمراكز القيادية في قرطبة، حيث أن «البيئة الاجتماعية والثقافية التي وجد فيها ابن شهيد هي بيئة تلك الأرستقراطية العربية القديمة التي كانت تستأثر بمهام الحكم فكانت كبني أبي عبدة وبني جدير وبني عبد الرؤوف وبني جمهور وبني فطيس أسرة من تلك الأسر التي احتكرت تماما وظائف الإدارة. وقد امتد سلطان هذه الأسرات وظل غير منقص بحكم صلاتها الوثيقة بالأسرة المالكة ثم بعدها ببني عامر طوال عهد الاضمحلال الأرستقراطية العربية التي انهزمت في معركتها ضد السلطة المركزية ،والسياسية التي اختلقها الناصر لخلق دولة متعددة القوميات ،مضافا إلى ذلك تشجيع الناصر للعناصر الصقلبية، واعتماد المنصور بعده على العناصر البربرية .ولقد ولد ابن شهيد في عهد هشام المؤيد (الثاني) حين وصلت البلاد تحت قيادة المنصور و رعايته إلى أعلى درجات الرخاء والقوة الحربية، وعاش حتى رأى ليس اضمحلالها فحسب، وإنما كان شاهدا لتحللها الكامل ونهاية سطوتها فانعكست تجاربه هذه في روح التشاؤم التي تملأ شعره» .[2]

شخصيته النفسية والفكرية وليدة حياة الترف واللهو وما قاده للخلاعة والمجون وطلب الملذات، يقول ابن حيان: «رجل غلبت البطالة فلم يحفل في آثارها بضياع

---

[1] ابن شهيد الأندلسي، ديوان، تحقيق: يعقوب زكي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، دط، دس، ص13

[2] المصدر نفسه، ص 12

دين ولا مروءة، فحط في هواه شديدا حتى أسقط شرفه ووهم نفسه راضيا في ذلك بما يلذه، فلم يقصر على مصيبه ولا ارتكاب قبيحة». [1]

«وقال الحجاري كان ألزم للكأس من الأطيار بالأغصان، وأولع بها من خيال الواصل بالهجران». [2]

وكان لابن شهيد حكايات ونوادر وأساطير مشهورة في سخائه، وشهد على ذلك كل من يعرفه من أهل قرطبة، فقد كان «كريما جوادا يبذل العطاء للمستحقين ويساعد ذوي الحاجة وهناك بعض القصص التي تحكي كرمه وجوده، من ذلك سألوا، ابن دحية عن قصة الرجل الذي أتى من طليطلة هو وأبنائه يلتمسون المساعدة والمؤن من الكرماء فأرشده الناس إلى بيت أبي عامر بن شهيد فأجزل له العطاء فمنحه أموال وأعطاه دارا وملابس فاخرة إلى غير ذلك، وكل هذا يعطينا صورة صادقة عن كرم ابن شهيد الذي ملأ الآفاق واشتهر بين الناس». [3]

فأي صورة تبدي فضائله أفضل «من محاسن شعره من جملت قصيدة:

وَتَذْرِي سِبَاعُ الطَّيْرِ أَنَّ كُمَاتَهُ *** إذا لَقِيَتْ صَيْدَ الكُمَاة سِبَاعُ

تَطِيرُ جِيَاعًا فَوْقَهُ وَتَرُدُهَا *** ظُبَاه إلى الأوكار وَهْيَ شِبَاعُ» [4]

«وقد تنازل عن عزة النفس في حالات إعساره، ولكنه كان يقهر نفسه بحيث لا تستشعر الندم على فائت، وكثيرا ما يتمدح بعزته النفسية في شعره تمدحه بالكرم

[1] عبد الله سالم المعطاني، ابن شهيد الأندلسي وجهوده في النقد الأدبي، ص 40

[2] ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط2، ج1، ص85

[3] عبد الله سالم المعطاني، ابن شهيد الأندلسي وجهوده في النقد الأدبي، ص 40 – 41

[4] ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، دط، 1398هـ – 1978م، المجلد 1، ص117

فيقول:

وَالنَّفْسُ نَفْسٌ مِنْ شُهَيْدٍ سِنْخُهَا *** سِنْخٌ غَدَتْ مِنْهُ العُلَا بِلبانِـها

ومصدر عجبه شيئان: نسبه الشهيدي الأشجعي

مِنْ شُهَيْدٍ فِي سِرِّهَا ثُمَّ من أَشْـ *** جَعَ فِي السرّ مِنْ لبابِ اللبابِ

واقتداره على النثر والشعر اقتدار يرى كل معاصريه وكثيرا من غير معاصريه دونه، وقد قال له أصحابه ذات مرة: «إنك لآت بالعجائب وجاذب بذوائب الغرائب، ولكنك شديد الإعجاب بما يأتي منك». [1]

ومما عرف عن ابن شهيد انه تميز عن غيره «بحدة في الطبع، وحرارة في الأجوبة وهجوم على التعريض الكاوي، والألفاظ المقذعة، وهو شيء تبرزه رسائله لا أشعاره، فإن الفكاهة في شعره قليلة أو معدومة، وخصوماته الأدبية كثيرة، وهي معرض لهذه الحدة الممزوجة بالتندر، إلا أنه كان – على إعجابه وحدته – محببا إلى نفوس أصدقائه ، يأنسون بمجلسه ويغترفون من كرمه، ويقضون الوقت في داره طاعمين شاربين أو متنزهين في البساتين أو متحدثين في جامع قرطبة. كما كان دائم التبرم من الزمان لأنه لم ينصفه وقدم غيره محقرا لأكثر الملكات الأدبية في بلده». [2]

ومن شهادة الكثيرين «كان ابن شهيد حصيف الرأي صادق المشورة يقول ابن حيان: كان من أصح الناس رأيا لمن استشاره وأضلهم عنه في ذاته، وهذا يدل على

---

[1] إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ط1، 1997م، ص 291

[2] المرجع نفسه، ص 292

أنه كان رجلا مرموقا يستشيره الناس في أمورهم وشؤون حياتهم وتعبير ابن حيان بالضلالة في ذاته لأنه كان يعاقر الخمر ويجاهر بالمنكر». [1]

لقد كان أبو عامر يحب قرطبة حبا شديدا لأنها مسقط رأسه ومرتع صباه وموطن ذكرياته وقيل أنه لم يفارقها إلا مرة واحدة وعاد إليها، وحتى بعد الفتنه وبعد أن صارت خرابا ودمار ظل ابن شهيد متمسكا بحبه لها ويسميها العجوز البُخْراء يقول في ذلك:

عَجُوزٌ لَعُمْرُ الصِبَا فَانِيَـهْ *** لَهَا فِي الحَشَا صُورَةُ الغَانِيَهْ
زَنَتْ بِالرِجَالِ عَلَى سِنِّهَـا *** فَيَا حَبَّذَا هِيَ مِنْ زَانِيـهْ
تُرِيكَ الْعُقُولَ عَلَى ضَعْفِهَا *** تُدَارُ كَمَا دَارَتِ السَانِيَـهْ
فَقَدْ عَنِيْتْ بِهَوَاهَا الْحُلُو *** مُ فَهْي بِرَاحَتِهَا عَانِيـهْ
تَقَاصَرُ عَنْ طُولِهَا قُونْكَـةٌ *** وَ تَبْعُدُ عَنْ غُنْجِهَا دَانِيَـهْ
تَرَدَيْتُ مِنْ حُزْنِ عَيْشِي بِهَا *** غَرَامًا فَيَا طُولَ أَحْزَانِيهْ [2]

أحس ابن شهيد ببداية النهاية عند تفاقم مرض عظال ألمَّ به وأقعده الفراش، فابتغى العزاء «فبدأ يخفف عن نفسه بمراسلة أصدقائه وشكوى الحال إليهم، يقول الحميدي: أخبرني أبو محمد علي بن أحمد قال: كتب إليَ أبو عامر بن شهيد في علته بهذه الأبيات:

ولمَا رَأَيْتُ الْعَيْشِ لَوَى براسـه *** وأيقنت انَّ الْمَوْتَ لَا شَكّ لَاحِـقِي
تَمَنَّيْتُ أني سَاكِنٌ فِي غِيَابِـهِ *** بأعلى مَهَبّ الرّيحِ فِي رَأسٍ شَاهِقُ
اِرْدِ سَقِيطَ الْحُبِّ فِي فَضْلِ عَيْبَةِ *** وَحَيْدًا وَاُحْسُو الْمَاءَ ثني المفالـق
خَلِيلِي مَنْ ذاق المنيـــة مَرَّهُ *** فَقَدْ ذقتها خمسين قَوْلَـــة صَادِقٌ

[1] عبد الله سالم المعطاني، ابن شهيد الأندلسي وجهوده في النقد الأدبي، ص 43

[2] ينظر: عبد الله سالم المعطاني، ابن شهيد الأندلسي وجهوده في النقد الأدبي، ص 44

كَأنِيٌّ وَقَدْ جَانَ اِرْتِحَالِيٌّ لَمِ افـز *** قَدِيمَا مَنِ الدُّنْيَا بِلَمْحِـــة بَارِقٌ
فمَنَ مَبْلَغِ عَنِيِّ اِبْنِ حَزمٍ وَكَانَ لِي *** يَدٌ فِي مُلِمَّاتِي وَ عِنْدَ مُضَايِــقي
عَلَيْكَ سِلَامِ اللهِ اني مُفَـــارِقٌ *** وَحَسْبُكَ زَادَا مِنْ حَبيــبِ مُفَارِقِ
فَلَا تَنْــسَى تَأبينِ اذا مَا فَقِدْتُنِي *** وَتَذْكَارَ أيامي وَفَضْلَ خَلَائِــقِي

ومن هذه القصيدة نستشف مدى الألم والشدة التي عاناها ابن شهيد من مرضه حتى أنه تمنى أن يكون في رؤوس الجبال وفسيح البرابري يعيش عيشة بسيطة والقصيدة تنبض بعاطفة الألم والحسرة». [1]

«وقبل أن يتوفى ابن شهيد أوصى ببعض الوصايا الغريبة التي تدل على أن الرجل ندم على ما فات أن يكفر عن ذنوبه ولو ببعض الشيء فمن وصاياه: أن يصلي عليه أبو عمر الحَصار الرجل الصالح، فتغيب إذا دعى وأوصى أن يسنى عليه التراب دون لبن أو خشب فأغفل ذلك، وإن لم تنفذ الوصيتان السابقتان فقد نفذت بقية وصاياه وهو أن يدفن بجنب صديقه أبي الوليد الزجالي ويكتب على قبره في لوح رخام هذا النثر والنظم:

بسم الله الرحمن الرحيم" قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون "هذا قبر أحمد بن عبد الملك بن شهيد المذنب، مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن الجنة حق وأن النار حق وأن البعث حق وأن الساعة آتيه لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور». [2]

فقد أودى المرض بحياته، ويذكر ابن بسام أن المرض اشتد به وتفاقمت حالته، فعجز عن الحركة بعد أن كان يستعين بعصى لقضاء حاجته، أو مستندا على شخص مرة، بل عزم على قتل نفسه عند اشتداد الألم عليه، حيث جاء في كتاب

[1] عبد الله سالم المعطاني، ابن شهيد الأندلسي وجهوده في النقد الأدبي، ص 46 – 47
[2] المرجع نفسه، ص 47 – 48

الذخيرة «ولما طال بأبي عامر ألمه، وتزايد سقمه وغلب عليه الفالج الذي عرض له في مستهل ذي القعدة من سنة خمس وعشرين وأربعمائة، لم يُعدِمه حركةً ولا تقلباً وكان يمشي إلى حاجته على عصا مرة واعتمادا على إنسان مرة إلى قبل وفاته بعشرين يوما فإنه صار حجرا لا يَبرحَ ولا يتقلبَ ولا يحتمل إن يحرك لعظيم الأوجاع مع شدة ضغط الأنفاس وعدم الصبر حتى هم بقتل نفسه وفي ذلك يقول من قصيدة:

[من الطويل]

أنوحُ عَلَى نَفْسِي وَأُنْدُبُ نُبْلَــهَا *** اذا أنا فِي الضَّرَّاءِ أزمعتُ قَتَلَــهَا

رضيت قَضَاءَ اللهِ فِي كُلَّ حَالــةٍ *** عَلَيَ و أحكامًا تَيَقَّنَتُ عَدْلــهَا» [1]

أظل قَعَيدَ الدَارِ تَجْنُبُنِي العَصَــا *** عَلَى ضُعْفِ سَاقِ أوهنَ السّقم رِجلها

وأنعى خسيساتِ اِبْنِ آدمَ عَامِــلًا *** بِرَاحِةِ طِفْلٍ أحْكَم الضُّرُ نصلــهَا

أَلَا رُبَّ خَصْمٍ قَدْ كَفَيْتُ، وَكربِــة *** كشفتُ، ودارٍ كُنْتُ فِي المحل وبلها

وربَّ قَرِيضٍ كالجريضِ بعثتُــهُ *** إلى خطبةٍ لا ينكرُ الجمعُ فصلــها

فمن مبلغُ الفتيان انَّ أخاهُــمُ *** أخوِ فتكةٍ شنعاء ما كانَ شكلــها

عليكُم سلامٌ من فتى عضه الرَّدى *** ولم ينْسَى عَينًا أثبتت فيه نَبْلَــهَا

يُبينُ وكف الموتِ تَخْلَعُ نفســه *** وداخلُها حُبٌّ يهونُ ثُكلَــهَا [2]

---

[1] ابن بسام الشنتيري، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1997 م، ج1، مجلد1، ص 228.

[2] المصدر نفسه، ص 229

وقد رثاه كثيرون ومنهم أبي الأصبغ القُرشي:

شَاهَدَنَا غَرِيبَاتُ الْمَكَارِمِ وَالْعُــلَا *** تَبْكِي عَلَى قَبْرِ الشَّهِيدِيِّ اِحْمَـدْ

وَمَازَالَ أهل الدِّينَ وَالْفَضْلَ وَالْتَقَى *** عُكُوفًا بِهِ حَتَّى حَسِبْنَاهُـمْ مَسْجِدًا

أريد سَقَيَا الْغَيْثُ احْيَاءِ حَفْــرَهُ *** كَدِرَنَا بِهِ نَجْــمُ الْعُلَا المتوقدة

وَلَم أرى مِثْلِيٌّ بَاتَ مستسـقِي اِلْحِيَا *** لِمَائِيِّ حَيَاءٍ كَانَ يَشْفِي مِنَ الصدا

فِي أي جَمَالٌ صَارَ فِي قَبْضِهِ الثَّرَى *** واي بَهَاءً قَدْ طَوَّقَهُ يَــدُ الرَّدَى

واي قَنَاهُ فِي طُولًا الأرضي غَيَّبَــهُ *** واي حُسَامٌ فِي حَشَّى الْقَبْرُ اغمد

بِنَفْسِيِّ الَّذِي أودى وَ انشأ لِلنَّــدَى *** حَمَامًا عَلَى دُوحِ الْعَلَاءِ مُغَـرِّدِهِ

عَامِرَ بَعْدَ السَّهْمِ مُصِيبِـــــهِ *** رَمَاكَ بِهِ رَيْبُ الْمَنُونِ فَاِقْصِــدْ

لِقَدَّ فَتٌّ فِي نَشْرِ الْفَضَائِلِ يَافِعَــهُ *** الرِّزْقَ فِي جَمْــعِ الْمَكَارِمِ اُمْرُدْ

تشقت عَلَيْكَ الْمُكَرَّمَاتِ جُيُوبَــهَا *** وَاِظْهَرْ فِيكَ الْمَجْدَ خَدًّا مخددَا [1]

[1] ابن شهيد الأندلسي، الديوان، ص 201

ومنه قول أبي حفص ابن برد الأصغر:

بفيكا التِّرْبَ مِنْ نَاعٍ نُعَانِي *** نَعَى غَيْرُي الِيَّ وَمَا عَدَانِي

وَكَيْفَ وَلَمْ يَسِلْ طَرَفِيٌّ بِدَمْعٍ *** وَلَمْ يَجْنِ لَهُ جِنَّـــانِيٌّ

لَإِيَّةَ خُصَلِهِ تَبْكِيكَ عَيْـنِيٌّ *** وَمَالِيٌّ بِالْحِسَابِ لَهَا يَـدَانِ

أَلِلْهِمَمِ المتوطة بِالثُّــرَيَّا *** أَمِ الشيمة المهذبة اِلْحَـسَانِّ

أم الْكَرَمَ الَّذِي مَازَالَ يَجْرِي *** مَعَ الْأَنْوَاءِ فِي طَلْقُ الرِّهَانِ

أم الْقَلَمَ الَّذِي قَدْ كَانَ يَجْـنِي *** مِنَ الْقِـرْطَاسِ نُوَارِ الْبَيَانَ

انَّ الرَّاي الَّذِي مَا زَالَ يُغَنِّي *** عَنِ السَّيْفِ الْمُهَنَّدِيِّ وَالسِّنَانِ

شَاهَدَتْ لِقَدِّ أصيب بْن شَهِيدُ *** بِقَاطِعِهِ السَّوَاعِدَ وَالْبَنَــانَ

بِهِ دَرَّجُوا مِنَ الدُّنْيَا فَبَـانُو *** وَكُلَّ مَا خَلَا الرَّحْمَنِ فَانٍ [1]

ثانيا: شعره ونثره:

أ) شعره:

«كان ابن شهيد موضع إجلال وتقدير منذ القدم وعند كبار الأدباء الذين تكلموا عن شعراء الأندلس وكتابها» [2]

«الشعر في بيت أبي عامر عريق النجار، متلاحق الآثار، فأبوه عبد الملك شاعر، وكذلك جده مروان، وجد أبيه أحمد بن عبد الملك، ثم عمه وأخوه شاعران، وهو أجودهم شاعرية وأخصبهم قريحة وأطولهم نفسا وأوسعهم شهرة ولكن لم يجمع شعره في ديوان ليحفظ من الضياع أو جمع ولم يصل إلينا وإنما بلغنا منهما رواه ابن

[1] ابن شهيد الأندلسي، الديوان، ص 200

[2] عبد الله سالم المعطاني، ابن شهيد الأندلسي وجهوده في النقد الأدبي، ص 51

بسام في الذخيرة والثعلبي في يتيمة الدهر والفتح ابن خاقان في مطمح الأنفس والمقري في نفح الطيب وابن خلكان في وفيات الأعيان، فكان لنا جملة صالحة من القصائد والمقطعات والأبيات على اختلاف أبوابها وأغراضها مع أن المؤرخين اقتصروا على الاختيار، فقلما أثبتوا قصيدة كاملة حتى أن ميميته الطويلة التي دون ابن بسام منها نحو ثمانين بيتا لم تخلص إلينا بتمامها» [1]

«فهو قد قال الشعر في أكثر الأغراض وخاصة الطبيعة والخمر والغزل وهو لم يلزم اتجاها معينا، وإنما سار في كل الاتجاهات حسب الأغراض والملابسات والمواقف وإن كان أميل إلى الاتجاهين المحدث والمحافظ الجديد» [2]

«وابن شهيد غير مقصر في موضوعات المدح والرثاء متفوق في الأوصاف الخمريات والمجونيات والأهاجي ،إلا أنه يفتقد العمق الذي تجده عند الغزال كما أنه بريء من الغموض العسر الذي شاب أشعار ابن دراج ،وتفوق في الحدة والاندفاع في الشعر على كل من سبقه من شعراء الأندلس» [3]

أمثلة عن الأغراض الشعرية التي تناولها ابن شهيد:

مَا أطربت فَوْقَ الْغُصُونِ حَمَامَةَ *** الَا رَايْتِ دُموعِ عَيِّنِيِّ تَسْكُبُ

وَاذَا الرِّيَاحَ تَتَأوحَــتِ الفيتني *** بَيْنَ الصبابة والأسى أتَقَلَّــبٌ

يَا عَاذِلِيَّ فِي الْحُبِّ مَهْلًا بالأذى *** لَوْ كُنْتُ تَعَشُّقَ مَا ظَلَلْتُ تُؤَنِّبُ

كَمْ حَأولَتْ نَفْسِيُّ السُّلُوِّ فَطَالَبَتِ *** أسبابه جَهْدًا فَعِزَّ الْمَطْلَبِ [4]

---

[1] ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص 38

[2] أحمد هيكل، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، دار المعارف، القاهرة، دط، 1985، ص 371 – 372

[3] إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، ص 302

[4] ابن شهيد الأندلسي، الديوان، ص 88

ومما قاله في رثاء قرطبة:

مَا فِي الطُّولِ مِنَ الاحبة مَخْبَـرٌ *** فَمَنِ الَّذِي عَنْ حَالِهَا نَسْتَخْبِرُ

لا تسألن سوى الْفِرَاقَ فَإِنْـــهَ *** ينبيك عَنْهُمِ أَنْجُدوا أم أغوروا

جَارِ الزَّمَانِ عَلَيْهُمْ فَتُفَرِّقُـــوا *** فِي كُلِّ نَاحِيةٍ وباد الأكثــر

جَرَتِ الْخُطُوبُ عَلَى مَحَلِّ دَيَّارِهِمْ *** وَعَلَيْهُـمْ فَتَغَيَّرَتْ وَتَغَيَّرُوا

فَدَعِ الزَّمَانَ يَصُوغُ فِي عَرْصَاتِهِمْ *** نُورًا تُكَادُ لَـهُ الْقُلُوبُ تَنُّورٌ

فَلِمِثْلِ قرطبة يَقُلْ بُكَـــاءُ مَنْ *** يَبْكِي بِعَيْنَ دَمْعِهَا مُتَفَجِّرَ [1]

ويقول أيضا في مدح المعتلي بالله بن حمود يصف في أثناء شعره ونفسه ويشكو الناس والأيام:

وَمَا فِي الاَ الشِّعْرِ اثبتـه الْهَوَى *** فَسَارَّ بِهِ فِي الْعَالِمِينَ فَرِيـدَ

أفْوَهْ بما لَمِ أته مُتَعَرِّضًـــــا *** لِحُسْنِ الْمَعَانِي تَارَةً فَأَزِيـدُ

فَانٍ طَالَ ذِكْرى بِالْمُجُونِ فَـأنني *** شِقِّيٌّ بِمَنْظُومِ الْكَلَامِ سَعِيـدَ

وَهَلْ كُنْتُ فِي الْعُشَّاقِ أول عَاشِقَ *** هَوَتْ بِحِجَاهِ أعيـن وَخُدُودٌ؟

وَانٍ طَالَ ذِكْرِيٌّ بِالْمُجُونِ فَإِنّهَـا *** عَظَائِمَ لَمْ يَصْبُرْ لَهُنَّ جَلِيـدُ

فَرَاقٍ وَسِجْنٌ وَاشْتِيَاقٌ وَذُلُّـــة *** وَجَبَّارُ حِفَاظٍ عَلَى عَتِيـــدِ

فَمِنْ مَبْلَغِ الْفِتْيَانِ أني بَعْدَهُـــمْ *** مُقِيمِ بِدَارِ الظَّالِمِينَ طَرِيدٌ؟ [2]

«إن شعر ابن شهيد شعر رشيق يجنحه خيال واسع ولكن التفكير فيه ضعيف لأن صاحبه كان هازلا لا هي ينقصه الجد والرسانة وأسلوبه سلس العبارة جذاب لما

[1] ابن شهيد الأندلسي، الديوان ، ص 109

[2] المصدر نفسه، ص 100

فيه من الدعابة والرقة في موضوعات اللهو وأكثر لهو مقبول خال من الفحش والهجر» [1]

«وقد عابه معاصروه بشيئين الانتحال والتطويل وكان هذان الاثنان بالمعنى الذي يفهمه ابن شهيد –من مصادر تفوقه » [2]

«إن ابن شهيد الناقد هو الذي اختار للناس روائع شعره ووضعها في أيديهم ليشهدوا له أو عليه، وذلك في رسالة التوابع والزوابع فبالإضافة إلى ما تحتويه هذه الرسالة من فكاهة وتندر بابن الأخليلي وبعض خصوم ابن شهيد في قرطبة، وما تثيره من تخيلات في عالم الجن، تعرض محاسن شعر ابن شهيد التي يراها خير ما يقدم من الشعر، إزاء شعر المشرق. وتكشف هذه الرسالة أيضا سر ابن شهيد نفسه في مذهبه حين تقف به عند شاعر، محاولا التفوق على مشاهيرهم، ما عدا المتنبي. فهو يعارض عمر بن أبي ربيعة في رائيته، وطرفة في قصيدة له لامية، وقيس بن الحطيم في قصيدته الحماسية التي يقول فيها:

طعنتُ ابنَ عبدِ القَيسِ طعنةَ ثائرٍ *** لها نَفَذٌ لولا الشّعاعُ أضاءها [3]

«وعارض بائية البحتري بقوله: (هذه دار زينب والرباب) وقد قال أبو عبادة:

ما على الرّكب من وقوف الرِّكَابِ *** فِي مغاني الصِّبَى ورسم التصابي

«وأمثال هذه المعارضات وما يشاكلها كثير في شعر أبي عامر» [4]

---

[1] حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، الجامعة الأميركية، بيروت، ط2، 1953م، ص 840

[2] إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي في عصر سيادة قرطبة، ص 302

[3] المرجع نفسه، ص 295 – 296

[4] ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص 42

«ولم يتوفر ابن شهيد على الشعر كما توفر على النثر، فكان له في الشعر قصائد مدحية وصفية وغزلية، حفظها لنا من دونوا تاريخ الأدب الأندلسي» [1]

«ومن الواضح أن نصوص شعر ابن شهيد أصابها التلف إلى حد كبير ولذلك اضطررنا إلى الرجوع إلى ما لا يقل عن ثمانية عشر مصدرا، ولما كان قد فضلنا قراءة ابن بسام على قراءة الثعالبي، فإنه من الممكن قياسا على تلك المقدمة إذا وجدنا خمسة أبيات متتالية مثلا في مصدر واحد هو كتاب اليتيمة أن يقال أن نص القصيدة في هذا الوضع لا يمكن أن يكون كما كتبه ابن شهيد ولكن ردنا على ذلك هو أننا قد أعدنا النص إلى ما يقرب من صورته الأولى بأحسن ما يستطيع الإنسان. والسبب الأكبر في فساد نصوص شعر ابن شهيد إنما يعود إلى عدم وجود ديوان يحدد النصوص ويثبتها». [2]

[1] حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص 839

[2] ابن شهيد الأندلسي، الديوان، ص 77_78

ب) نثره:

أما نثره فلم يبلغ المستوى الذي وصل إليه شعره ونقده لأن فيه شيئا من الغموض والتكلف والاهتمام بالألفاظ ورصفها والالتزام بالسجع في أغلب الأحيان ومن المؤسف حقا على أديب قدير كابن شهيد أن تكون هناك هوة كبيرة بين كتأباته النثرية وبين نقده وشعره ولكن هذه هي الحقيقية التي لا هروب منها». [1]

وفي نفس السياق «ذكر ابن خلكان من آثار ابن شهيد كتاب كشف الدك واثار الشك، ورسالة التوابع والزوابع، وكتاب حانوت عطار، ورسائل كثيرة. ولكن لم يبلغ إلينا منها إلا فصول من التوابع والزوابع أوردها ابن بسام في ذخيرته، وجملة رسائل مختلفة الأغراض رويت في الذخيرة ويتيمة الدهر للثعالبي». [2]

«قال ابن حيان في ابن شهيد أنه: (كان أبو عامر يبلغ المعنى ولا يطيل سفر الكلام، وإذا تأملته ولَسَنَهُ، وكسف يجر في البلاغة رَسَنَهُ، قُلْتَ: عبد الحميد في أوانه، والجاحظ في زمانه. والعجب منه أنه كان يدعو قريحته إلى ما شاء من نثره ونظمه، في بديهته ورويّته، فيقود الكلام كما يريد من غير اقتناء للكتب، ولا اعتناء بالطلب، ولا رسوخ في الأدب، فإنه لم يوجد له، رحمه الله، فيما بلغني بعد موته، كتاب يستعين به على صناعته، ويشحذ من طبعه إلا ما لا قَدْرَ له، فزاد ذلك في عجائبه، وإعجاز بدائعه».[3]

و قال الثعالبي «فنثره في غاية الملاحة و نظمه في غاية الفصاحة» [4]

---

[1] عبد الله سالم المعطاني، ابن شهيد الأندلسي وجهوده في النقد الأدبي، ص 57

[2] ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص 46 – 47

[3] المرجع نفسه، ص 47

[4] الثعالبي، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق: الدكتور مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1403هـ – 1983م، ج2، ص 57

وقال ابن بسام: «وقد أخرجت أنا من أشعاره الشاردة، ورسائله الباقية الخالدة، ونوادره القصار والطوال، وتعريضاته السائرة الأمثال، وما يحلو له الوقور حباه، ويحن معه الكبير إلى صباه». [1]

ولابن شهيد «رسائل كثيرة في فنون الفكاهة وأنواع التعريض والهزال قصار وطوال برز فيها شأوه وبقاها في الناس خالدة بعده وكان في سرعة البديهة وحضور الجواب وحدته مع رقة حواشي كلامه وسهولة ألفاظه وبراعة أوصافه ونزاهة شمائله وخلائقه». [2]

ويرحل الكاتب عن عالمه المزدحم بالخصوم والحساد إلى عالم الجن بكل ما فيه من تشويق وإثارة ، متجشما رحلة أدبية من اجمل ما عرف أدبنا «ومن حسنات رسائله أنها تضيء جانبا من حياته لم يأبه له المؤرخون، أو أعاروه من الاهتمام قليلا، فبدت من خلالها علاقاته السياسية والأدبية، وصداقاته وعداواته، ووفاؤه لأولياء نعمته، ومودته للإصحاب والإخوان، وحدته على الخصوم والحساد، وسلاطة لسانه في السخر والتعريض وصريح الهجاء. فرسالته الطويلة إلى المؤتمن تطلعنا على ما كان له ولأبيه من الخطوة في الدولة العمارية، وعلى بعض شؤونه في صباه. ورسالته إلى الموفق ترجمة لما وقع بينه وبين الفرَضي من العداء والشحناء. ورسالته إلى أبي القاسم الإفليلي فيها عتبه عليه لازوراره عنه، وجريه في حلبة الفرض وابن فتح. ومن فصوله وأحاديثه نستخرج جملة من أخباره مع الوزراء

[1] زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع الهجري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، 1371هـ – 1952م، ص 592

[2] ابن بسام الشنتيري، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ص 192 – 193

والأدباء وآراؤه في أبناء زمانه ممن انتحلوا السياسة، أو طلبوا العلم، أو احترفوا التعليم». [1]

«ويمتاز نثره بأساليبه البارعة المستظرفة. فهو يفيض بالفكاهة حتى قيل عنه: "إنه في تنسيق الهزل والنادرة الحارة أقدر منه على غير ذلك" وهذا ما يقربه من الجاحظ. فنراه في رسالة التوابع والزوابع يقبل إلى بركة في وادي الجن فيرى حولها طائفة من الحُمرِ والبغال. فتتقدم بغلة عليها الجل والبرقع فتنشده شعرا وتقول له:(أَما تعرفني أبا عامر؟ فيقول: لو كانت ثَمَّ علامة). فأماطت لثامها فإذا هي بغلة أبي عيسى، والخال على خدها. فتباكيا طويلا وأخذا في ذكر أيامهما. وكلام ابن شهيد مسجع عن غير إطّراد، في الكثير من العبارات الغامضة الخافية المعنى، والإشارات والتلميحات المحتاجة إلى شرح وإيضاح». [2]

ونثر ابن شهيد «ممتاز في موضوعاته وأساليبه ومعانيه، فلقد كتب موضوعات شائقة طريفة، نادرة في النثر العربي، ككتاباته القصصية الخيالية، التي يصفها أدباء العرب بالكتابة الهزلية، فقالوا عنه: (إنه في تنسيق الهزل والنادرة الحارة أقدر منه على غير ذلك). ويبدو من هذه الموضوعات أنه ولع بقراءة القصص واطلع على ما كتبه أهل الشرق في ذلك، وجَارَى بعصهم في أساليبه، كما في رسالته (التوابع والزوابع)، وكرسالته في الحلواء وغيرها مما كتبه على ألسنة الحيوان». [3]

---

[1] ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص 48

[2] حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص 840 – 841

[3] محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب الأندلسي "التطور والتجديد"، دار الجبل، بيروت، ط1، 1412هـ – 1992م،
ص 613

ومن شعره «ما أنشدنيه الشيخ أبو سعيد ابن دوست عن الفقيه الوليد أبي بكر الأندلسي قوله من [الخفيف]:

قل لمن زاد إذ تباعد بعـــدا *** وتناسى عهدي ولم أنس عهـدا

لا يغرنـــك ما ترى من وداد *** فعلي إن شئـــت غيرت وِدًا

لا وحق الهوى وحـــق لياليـ *** ـه ومن صاغ حسن وجهك فردا

ما أطيق الذي أدعيت ولو ملكتـ *** ـه لم أكن لغيرك عبـــدَا

وله من [الكامل]:

ما أطربت فوق الغصون حمامة *** ألا رأيت دموع عيني تسكـب

وإذا الرياح تناوحت ألفيتني *** بين الصبابة والأسى أتقلـــبُ

يا عاذلي في الحب مهلا بالأذى *** لو كنت تعشق ما ظللت تؤنـب

كم حاولت نفسي السلو فطالبت *** أسبابه جَهرًا فعِزُ المَطلـبِ» [1]

«إن حظ النثر في تلك الفترة أعظم من حظ الشعر فقد أفاد مما فرضته في ظروف الفتنه على بعض الأدباء من عزلة وانطواء ومرارة حملتهم على التخيل والتأمل والمراجعة فكان الابتكار والنقص والنقد». [2]

ثالثا: مؤلفاته:

لم يتوفر ابن شهيد على الشعر كما توفر على النثر، فكان له في الشعر قصائد مدحية ووصفية وغزلية حفظها لنا من دونوا تاريخ الأدب الأندلسي. أما آثاره النثرية

[1] الثعالبي، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، ص 57

[2] أحمد هيكل، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، ص 377

فرسائل تناول فيها أغراض شتى. منها رسالته في الحلواء حيث ذهب مذهب الهمذاني في مقامته القريضية، و ورسالته في وصف البرد والنار والحطب، ورسالته المدعوة «حانوت عطار»، وأشهر رسائله على الإطلاق رسالته المسمات « بالتوابع والزوابع» وهي شبيهة برسالة الغفران لأبي العلاء المعري [1]

وله رسائل أخرى إلى الخلفاء والوزراء .ذكرت كل هذه الرسائل في الذخيرة واليتيمة وغيرهما من الكتب [2]

وأهم رسالة تركها ابن شهيد رسالة «التوابع والزوابع» وهي أهم رسالة في نثره، ذات طابع نقدي، يطلق عليها اسم شجرة الفكاهة لم تصلنا كامله وإنما وصلتنا منها مقتطفات أوردها ابن بسام في الذخيرة وقد خاطب بها كاتبها صديقه أبا بكر بن حزم حينما تساءل معجبا ببلاغة صديقه وكيف أوتي الحكم صبيا وهز بجذع الكلام فأساقط عليه رطبا جنيا وحاول ابن شهيد أن يعلل ذلك في مطلع الرسالة بأنه وإن كان قليل الاطلاع ذو موهبة طبيعية سمي هذه الموهبة كما كان قدماء العرب يسمون شياطين الشعر جنيا تابعا له كان يلهمه ويثير القول على لسانه ويخدمه في كل حال ويعينه إذا ارتج عليه وكانت كلمة السر بينهما أن ينشد

وإلى زهير الحب يا عز انه *** إذا ذكرتـه الذاكرات أتاها

إذا جرت الأفواه يوما بذكرها *** يخيل لي أني اقتل فـاها

فاشي ديار الذاكرين وان تأت *** أجارع من داري هوى لهواها [3]

[1] حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص 840

[2] عبد الله سالم المعطاني، جهود ابن شهيد الأندلسي في النقد الأدبي، ص 38

[3] إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي في عصر سيادة قرطبة، ص 334

فيحضر عندئذ صاحبه زهير بن نمير، وهو مثله أشجعي ومعنى هذا أن كل قبيلة في الإنس لها ما يقابلها عند الجن وهؤلاء الجن حسب وصف ابن شهيد ليس جميعا قباح الصور ربما كانوا مخلوقين على حسب الصور التي يمتثلونها من بني الإنس ولذلك كان فيهم من هو على شكل الحمار والبغل والإوزة لأن الإنس في طبائعهم هذه الأشكال نفسها» [1] وهذه الرسالة موجودة في أهم مصادر الأدب الأندلسي.

ومن مؤلفاته النقدية كذلك كتاب « حانوت عطار فإنه لم يصل ولكن الحميدي نقل عنه في "جذوة المقتبس" ويدل قوله على أن الكتاب تراجم لشعراء الأندلس فهو سابق لكتاب "الأنموذج" من ذلك قوله في ابن الدراج الفرق بين أبي عمر وغيره ان أبا عمر مطبوع النظام شديد اسر الكلام ثم زاد بما في أشعاره من الدليل على العلم بالحبر واللغة والنسب و ما تراه من حوكه للكلام وملكه لأحرار الألفاظ وسعة صبره وجيشة بحره وصحة مقدرته على البديع وطول طلقه في الوصف وبغيته للمعنى وترديده وتلاعبه له وتكريره وراحته بما يتعب الناس وسعة نفسه فيما يضيق الأنفاس». [2]

وكذلك من أشهر ما خلف أبو عامر «كتاب الدك وإيضاح الشك وهو كتاب مفقود ولكن فيما يبدو انه في علم الحيل والخرفات». [3]

كما خلف أيضا «ديوان ابن شهيد: جمع ديوان ابن شهيد وحققه الأستاذ يعقوب زكي في رسالة دكتوراه _كما ذكر في المقدمة_ وصدره بدراسة تاريخية عن جوانب

---

[1] المرجع السابق، ص 334

[2] إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب "نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري"، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط1، ط2، 1391هـ - 1971م / 1398هـ - 1978م، ص 476

[3] عبد الله سالم المعطاني، ابن شهيد الأندلسي وجهوده في النقد الأدبي، ص 34

من حياة ابن شهيد، وجمعه شارل بلات عام 1963وكتب مقدمته الأستاذ بطرس البستاني». [1]

كما لأبى عامر مجموعة من «الرسائل البيانية واجههم بالهجوم السفر وعناقهم لاعتقادهم أن بضاعتهم وسيله لتعليم البيان فقال :(وإصابة البيان لا يقوم بها كثير الغريب واستفاء مسائل النحو بل بالطبع مع وزنه من هذين ومقدار طبع الإنسان إنما يكون على مقدار تركيب نفسه مع جسمه) ويشرح ابن شهيد هذه الفلسفة الجديدة فيبين أن من تغلبت نفسه على جسمه كان مطبوعا روحانيا فتجيء الصور عنه في أجمل هياة وأما الآخر الذي يستولي جسمه على روحه فان صور الكلام تتكون لديه ناقصة». [2]

«ومن الواضح أن نصوص شعر ابن شهيد أصابها التلف إلى حد كبير ولذلك اضطررنا إلى الرجوع إلى ما لا يقل عن ثمانية عشر مصدرا ولما كان قد فضلنا قراءة ابن بسام على قراءه الثعالبي فانه من الممكن قياسيا على تلك المقدمة اذا وجدنا خمسه أبيات متتالية مثلا في مصدر واحد هو كتاب « اليتيمة » أن يقال أن نص القصيدة في هذا الوضع لا يمكن أن يكون كما كتبه ابن شهيد ولكن ردنا على ذلك هو أننا قد اعدنا النص إلى ما يقرب من صورته الأولى لا يستطيع الإنسان والسبب الأكبر في فساد نصوص شعر ابن شهيد إنما يعود إلى عدم وجود ديوان يحدد النصوص ويثبتها، ولو كان هناك ديوان لكان لنا فيه أنموذج عال موحد، يمنع هذا الطوفان المتكاثر من القراءات المتباينة. والشعراء، سواء في العالم القديم أو الحديث، يهتمون بجمع شعرهم في (ديوان جامع)، عندما يمتد بهم العمر، ويكون أغلب شعرهم قد كتب، ولكن ابن شهيد، مثله في ذلك مثل كثير من شعراء الأمس

[1] المرجع السابق، ص37

[2] ينظر :إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 479

واليوم، قد وافته منيته في شبابه المبكر قبل الوقت الذي يفكر فيه الشاعر عادة في جمع شعره لمدة طويلة. [1]

وبذلك قد اتسمت حياة ابن شهيد بالترف لعيشه في ظل الحكام والسلاطين إضافة إلى ما ورثه عن أجداده من مظاهر الصبوة والفتوة إلا إن إصابته بالصمم حالت دون تقلده لمناصب مهمة مما ولد لديه شعورا بالنقص إضافة الى التقليل من شأنه من قبل خصومه .وقد كان لابن شهيد مجموعة من المؤلفات خولته لأخذ مكانة أدبية مرموقة شهد له فيها جميع من عاصره بالتفرد والتمييز وقارنوه بكبار أعلام الأدب العربي.

[1] ابن شهيد الأندلسي، الديوان، ص 77- 78

الفصل الأول: آراءه النقدية

1. مسألة البيان
2. اللفظ والمعنى

السرقات الأدبية

1) مسألة البيان:

اهتم أبو عامر في قضية البيان اهتماما بالغا موضحا ذلك في رسالة التوابع والزوابع ورسائل أخرى، حيث «كان له موقف واضح من البيان وهو أنه موهبة يمنحها الله من يشاء من البشر وإذا لم تتوفر هذه الموهبة في الإنسان لا يمكن بأية حال من الأحوال أن يصبح بليغا أو من أصحاب البيان يقول في ذلك وهو يحاور تابع ابن الإفليلي :فقال لي :دع عنك .أنا أبو البيان قلت :لا ها الله إنما أنت كَمُغَنْ وسط، لا يحسن فيطرب ولا يسيء فيلهي "قال: لقد عَلَّمْنِيه المؤدِّبون .قلت :ليس هو من شأنهم، إنما هو من تعليم الله تعالى حيث قال: (الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان) ليس من شعر يفسر، وأرض تكسر».[1]

وتفادى ابن شهيد ازدراء التعليم في حين تبجيل الموهبة ليؤكد أن «للصقل والتعليم أهمية كبيرة جدا ولكن من حرمه الله نعمة الموهبة أو الملكة فمن المستحيل تعليمه البيان وجعله من ذوي الفصاحة يقول: وقول الجاحظ: أنا إذا اكترينا من يعلم صبياننا النحو والغريب قنع منا بعشرين درهما في الشهر ولو اكترينا من يعلمهم لما قنع منا بألف درهم».[2]

بل ولم يخف عنه «أن الموهبة بدون صقل وتدريب تصبح قاصرة عن العطاء، فلا بد لمن توفرت فيه ملكة الشعر مثلا أن يقرأ للشعراء ويحفظ أشعارهم الجيدة ليتجنب عيوبهم ويأخذ بمحاسنهم ومثل ذلك من توفرت فيه موهبة الكتابة أو أي موهبة أخرى، ولكن التدريب أو التعليم وحده لن يخلف لنا مواهب مهما علت درجته».[3]

---

[1] عبد الله سالم المعطاني، ابن شهيد الأندلسي وجهوده في النقد الأدبي، ص 104

[2] المرجع نفسه، ص115

[3] المرجع نفسه، ص116

فالموهبة لوحدها تبقى عاجزة لهذا يجب الاجتهاد والمثابرة ليكون هناك عطاء، ففي كتاب الذخيرة ذكر ابن بسام قصة ابن شهيد مع اليهود فيقول: «وقد كنا قد أطعمنا هذا الطعام بعض التلاميذ، فاستطابه وعلم مقداره، ولكن البطالة على الفتيان غالبة، والسآمة عليهم مستولية، فمن بنى على تعليم هذا الشأن فلا يُعَلِّمْ إلا أهل النجابة والمثابرة على التعليم، لأنه من لم ينجب له تلميذ حُمِلَ عليه ذلك النقص، وظُنَّ به العجز». [1]

أبان كل ذلك بتشبيهه بصلة الإنسان و حسن الجوار في قصة له مع فتى حَصِيف فقال: «جلس إلي يوما يوسف بن إسحاق الإسرائيلي، وكان أفهم تلميذ مر بي، وأنا أوصي رجلا عزيزا عليَّ من أهل قرطبة، وأقول له: إن للحروف أنسابا وقرابات تبدو في الكلمات، فإذا جاور النسيبُ النسيبَ، و مازجَ القريبُ القريب، طابتِ الألفة، وحَسُنَتْ الصحبة، ورُكِبَت صُوَرُ الكلامِ من تلك، حَسُنَت المَنَاظِرُ، وطابت المخابر، أفهمت؟ قال لي: إي والله، قلتُ له: وللمَعذوبةِ إذا طُلِبْت، والفصاحةِ إذا إلتُمِسَت قوانينُ من الكلام، من طلبَ بها أدرك، ومن نكبَ عنها قصر، أَفَهِمْت؟ قال: نعم، قلت: وكما تختارُ مليحَ اللفظِ، ورشيقَ الكلامِ، فذلك يجبُ أن تختارَ مليحَ النحوِ وفصيحَ الغريبِ، وتَهْرُبَ عن قبيحهِ» [2]

وفي قولٍ بهِيّ لابن شهيد حيث تكلم عن «الملكة الذهنية التي سماها الطبع وبين أنها الأساس الذي يصدر عنه الأديب وأنه بدونها لا يمكن أن يقدم أدبا ذا قيمة». [3]

---

[1] ابن بسام الشنتيري، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ص 233

[2] المصدر نفسه، ص 234

[3] أحمد هيكل، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، ص 390

فبحث ابن شهيد في مقدار الطبع وتركيبه في النفوس وأثره في صور الكلام وتفويق المعاني.

وفي ذلك يقول: «وإصابة البيان لا يقوم بها حفظ كثير الغريب واستيفاء مسائل النحو، بل بالطبع، مع وزنه من هذين. ومقدار طبع الإنسان إنما يكون على مقدار تركيب نفسه مع جسمه، فمن كانت نفسه في أصل تركيبه مستولية على جسمه كان مطبوعا روحانيا، يطلع صور الكلام والمعاني في أجل هيأتها وأرق لبساتها، ومن كان جسمه مستوليا على نفسه من أصل تركيبه. والغالب على حسه كان ما يطلع من تلك الصور ناقصا عن الدرجة الأولى في الكمال والتمام، وحسن الرونق والنظام».[1]

فتوصل إلى أن طبع الإنسان متركب مع نفسه وجسده، فعندما يستولي الجسم على النفس يصبح المرء مطبوعا روحانيا، والعكس، وهذا ما يضيق فرصة تعلم البيان.

ويرى ابن شهيد «أن البيان قد يعلم ولكن ليس الذي يقوم بتعليمه طبقة معلمي اللغة لأنهم في رأي أبي عامر (يرجعون إلى فطن حمئة وأذهان صدئة، لا منفذ لها في شعاع الرقة ولا مدب لها في أنوار البيان)، وهم يدركون بالطبيعة ويقصرون بالآلة أي كأنهم يعرفون بالقوة لا بالفعل ويعني ابن شهيد بالآلة المقصرة التركيب الفيزيولوجي الذي فسد فلم يعد قادرا على تقبل الروحانية لغلظ الدماغ وفرطحة الرأس وتصفيطة والتواء الشدق ... [وخرج هنا إلى التصوير العابث وكأنه يرسم صورة ابن الإفليلي]، وإنما الذي يستطيع تعليم البيان امرئ قادر [على تفجير صفاة غيره] إذا كان المتعلم إذا استعداد نفسي لذلك»[2]

[1] المرجع السابق، ص 391

[2] إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 479

أشار ابن شهيد إلى تدني مستوى المدرسين، وأن لتعلم البيان وجب توفر شيئين ضروريين هما: الطبيعة و الآلة، إذا اختل الأول حدث أيضا للثاني، وأشار في هذا السياق إلى فطنة و ذكاء الأشخاص تحكم فيه العلامات الجسدية، وهذا ما جعل اتصال كبير بين العقل و الجسم.

ولأصحاب البيان قدرات أدبية قام بتقسيمها ابن شهيد إلى ثلاثة أقسام:

- قسم يخترع المعاني ويعرف جيد الألفاظ ولكن توفيقه بينهما يعتمد على كد القريحة وفد يجيد في المقطعات والقصار، ولكنه يعجز عن (بهاء البهجة) وشرف المنزلة، إذا سمته الاستمرار.
- قسم ماهر في التلفيق والحيلة، فهو يغطي بذلك على نقص الفكرة، ويستجلب الرضا المؤقت من معاصريه.
- قسم هم أصحاب الحدة البيانية الذين يبنون الكلام على الاندفاع والانصباب مع التوفيق التام بين الفكرة الصعبة ومائية الشكل، والواحد منهم (كاللقوة في المرقب) ومن خرج عن هذه الفئات الثلاث فلا يدخل في صناعة الكلام». [1]

«وهذه الأحكام تتعلق بعلم النفس وعلم وظائف الأعضاء لأن التجارب العلمية أثبتت أن هناك اتصالا وثيقا بين العقل والجسم و أي تأثير على أحدهما يؤثر على الآخر».[2]

تحدث المعطاني عن شخصية الإنسان النفسية وتصرفاته التي هي نتيجة إنجازه حيث قال: «ومما لا شك فيه أن الإنسان إذ كانت عاهة من العاهات فإنها تؤثر على سلوكه الاجتماعي وتزعزع ثقته في نفسه مما يؤدي به إلى الإحباط وعلى العكس من ذلك الإنسان السوي الذي يقوي ثقته في نفسه ويقدم على الأشياء بروح قابلة لها مما يساعد

[1] المرجع السابق، ص 481 – 482

[2] عبد الله سالم المعطاني، ابن شهيد الأندلسي وجهوده في النقد الأدبي، ص 147.

على نجاحه في أكثر أموره، حيث عقد ابن شهيد مقارنه بين الذين لم يرزقوا الآلة القابلة للبيان وبين الحمار الذي يطلب منه الضرب على الأوتار و كلنا يعلم أن هذا مستحيل، فيقول في ذلك :فهم يصرفون غرائبها في ما يجري عندهم تصريف من لم يرزق آلة الفهم، ومن لم تكن له آلة الصناعة، مما هي مخصوصة بها لا تقوم تلك الصناعة إلا بتلك الآلة، فهو كالحمار لا يمكنه أن يتعلم صناعة ضرب العود والطنبور». [1]

وكانت للمعطاني شهادة عظيمة مكرمة في حق ابن شهيد الأندلسي، قال: «وفي الواقع أن هذا الكلام لم يسبق إليه ابن شهيد من أي ناقد آخر مما يدل على عظمة هذه العبقرية التي لم تعطى حقها من النقاد الذين تكلموا عنها». [2]

[1] ينظر: المرجع السابق، ص 148.

[2] المرجع نفسه، ص 149.

2) قضية اللفظ والمعنى:

تعد قضية اللفظ والمعنى من أقدم القضايا النقدية وأهمها، حيث شغلت هذه القضية النقاد القدماء، فانفردت بعناية خاصة في القرن الثالث والرابع هجري.

إن الجاحظ من أوائل النقاد الذين وقفوا عند قضية اللفظ والمعنى التي تشكل هيكل متن في النقد العربي القديم ، فموقف الجاحظ في هذه القضية يختلف تماما عن ما أشتهر به ، حيث أنه لم يؤثر أحدهما عن الآخر، إنما حصل في النص الذي قال فيه: «المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وفي صحة الطبع وجودة السبك ، فإنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير».[1]

الجاحظ هنا يذكر أن المعاني معروفة لدى الناس عامة؛ ولا يختص بها أحد دون الآخر، ولكن ليس معنى ذلك أنه يقلل من قيمة المعاني؛ بل يرى أن المعاني قبل أن تصاغ صياغة فنية من حيث جودة السبك وصحة الطبع، معروفة ومن السهل أن يدركها الجميع.

الجاحظ في آخر جزء من مقولته يقول: أن الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير؛ هذا يدل دلالة واضحة على أن الجاحظ لم يغفل عن المعنى واعتبر الصورة لا تبدو واضحة إلا من خلال وجود اللفظ والمعنى ما صرح به في أهمية المعنى قوله: «لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظة ولفظة معناه فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك». [2]

---

[1] الجاحظ، الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، المكتبة العصرية، بيروت، 1385هـ – 1964م، ج3، ص 131 – 132.

[2] الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، دط، 1972م، ج1، ص115

أما ابن قتيبة فقد تحدث عن قضية اللفظ والمعنى مجتمعين في الشعر ووضع لهما أربعة أقسام:

«ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه، كقول القائل في بعض بني أمية:

فيه خيزران ريحه عبـــق *** من كفه أروع عرنينه شمم

يغضى حياء ويغضي من مهابته *** فما يكلم إلا حين يبتســم

وضرب منه حسن لفظه وحلا، فإذا أنت فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى كقول القائل:

ولما قضينا من منى كل حاجــة *** ومسح بالأركان من هو ماسـح

وشدت على حدب المهارى رحالنا *** ولا ينظر الغادي الذي هو رائح

أخذنا بأطراف الحديـــث بيننا *** وسالت بأعناق المطي الأباطـح»[1]

«وضع ابن قتيبة هذه الأبيات في الضرب الثاني من تقسيمه حيث استحسن ابن قتيبة هذه الأبيات وأشار إلى المعنى بأنه لا فائدة فيه لعدم احتوائه صياغة جديدة.

وضرب منه جاد معناه وقصرت ألفاظه عنه كقول لبيد ابن ربيعة:

ما عاتب المرء الكريم كنفسه *** والمرء يصلحه الجليس الصالح

هذا إن كان جيد المعنى والسبك فإنه قليل الماء والرونق.

[1] ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، 1377هـ – 1958م، ج1، ص 64.

وضرب منه تأخر معناه وتأخر لفظه، كقول الأعشى في امرأة:

وفوها كأقاحي *** غذاه دائم الهطـل

كما شيب براح يا *** رد من عسل النحل» [1]

وهذا لا يعني بأن الخلاف انتهى بين النقاد حول هذه القضية، لأنها شغلت الكثير من النقاد الأندلسيين مثل ابن شهيد الأندلسي الذي أولى قضية اللفظ والمعنى اهتماما بالغا «فقد حدد موقفه منها فأدرك الصورة الأدبية التي تعد النتيجة النهائية لكل من اللفظ والمعنى وبين أنهما يشتركان في إبرازها، وإن أي تأثير على أحدهما يؤثر على كمال تلك الصورة. ونوه كذلك بنظرية النظم مما يدل على أنها كانت متبلورة في ذهنه وأنه كان مستوعبا لها، وبين كذلك أن المعاني لا تخدع الناقد بقدر ما تخدعه الألفاظ ورنينها فحذره من ذلك بالاحتراس من حلاوتها والانخداع ببريقها كي تكون أحكامه موضوعية وصحيحة». [2]

يرى ابن شهيد بأنه لا يمكن الفصل بين اللفظ والمعنى أو تقديم أحدا على آخر، بل دعا إلى المساواة بينهما فقال : «من الواجب على الناقد أن يبحث عن الكلام، ويفتش عن شرف المعاني، وينظر مواقع البيان، ويحترس من حلاوة خدع اللفظ، ويدع تزويق التركيب، و يراطل بين أنحاء البديع، ويمثل أشخاص الصناعة، فقد ترى الشعر فضي البشرة، وهو رصاصي المكسر، ذا ثوب معضد أو مهلهل، وهو مشتمل على بهاق أو برص، مبنيا بلبن التماثيل، وصفوان التهاويل، وهو لا يجن حبه عن النسيم فضلا عن الحرجف، ولا يقيه رقيق ريق الندى فضلا عن شؤبوب الكنهور، وقد ملحته ملاحة الأسماء، واتقد فيه الهوى، واضطرمت في جانبه نيران الجوى، ولمع فيه البرق، واستن فيه

1) المصدر السابق، ص 66.

[2] عبد الله سالم المعطاني، ابن شهيد وجهوده، ص 154.

الودق، وسفحت عليه الدموع، وبان فيه الخشوع وهو ((كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده النور:39)) لا يستحق صاحبه غير أن يكون تلعابة، أو صاحب وإنما يستحق اسم الصناعة بتقحم بحور البيان، وتعمد كرائم المعاني والكلام». [1]

3) السرقات الأدبية:

شغلت فضية السرقات الأدبية اهتمام الشعراء والنقاد العرب منذ القدم، لأنها تتعلق بمسألة الابتكار والتقليد، فما يقوله الأديب إما أن يكون ابتدعه، بحيث لم يسبقه إليه أحد، أو يكون قد أخذ من الآخرين هذا الشيء أو استفاد منهم أو قلدهم.

هذه القضية تحدث عنها العديد من شعراء العصر الجاهلي منهم امرئ القيس فقال:

عوجا على الطلل المحيل لأننا *** نبكي الديار كما بكى ابن خذام [2]

هنا وعي بالأخذ من شعراء قبله، فمسألة البكاء على الطلل ليست جديدة على اختراع امرئ القيس ولكنها موجودة عند شعراء قبله، وفي وصفه أيضا لامرأة يقول:

نظرت إليك بعين جازئة *** حانية على طفل أخذه المسيب

فغير ألفاظ العجز فحسب، فقال:

نظرت إليك بعين جازئة *** في ظل باردة من السدر [3]

ويذكر ابن رشيق أيضا أن عنترة قد أخذ قوله : وكما علمت شمائلي وتكرمي [4]

ومن بيت امرئ القيس:

---

[1] ابن بسام الشنتيري، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ص 310 – 311.

[2] امرئ القيس، الديوان، دار الكتب العلمية، 1971م، بيروت، لبنان، ص 156.

[3] المصدر نفسه، ص 439.

[4] محمد مصطفى هدارة، مشكلة السرقات في النقد العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، دط، 1958م، ص 10.

وشمائلي ما قد علمت وما *** نبحت كلابك طارقا مثلى [1]

وما يبين وعي الشعراء الجاهلين بهذه الظاهرة أن منهم من نفى عن شعره السرقة كما فعل طرفة بن العبد حيث قال:

ولا أغير على الأشعار أسرقها *** عنها غنيت وشر الناس من سرقا [2]

فهو ينفي عن نفسه تهمة سرقة الأشعار وهذا دليل بأنه كان واعيا بمسألة السرقات الأدبية في هذا العصر، فالشاعر يجب أن يكون مبدعا لا سارق أشعار غيره.

وكذلك فعل حسان بن ثابت في قوله:

لا أسرق الشعراء ما نطقوا *** بل يوافق شعرهم شعري [3]

هو لا يسرق شعر الشعراء، ولكن إذا وجد في كلامه ما يشبه كلامهم، فذلك لأن أشعارهم وافقت شعره.

وهذا ما أكده أيضا ابن طباطب حين قال «بأن المبدع كالصانع الذي يذيب الذهب والفضة المصوغين ويعيد صياغتهما بأحسن مما كان عليه». [4]

ومن هذه الأمثلة المختلفة نرى أن فكرة السرقات كانت موجودة في العصر الجاهلي، ولكن هناك معان مشتركة بين الناس، بحيث إذا وردت في أشعار الشعراء لا تعد مذمة في شعرهم كتشبيه الحسن بالشمس، والبدر والجواد بالغيب والبحر، فهي معاني موجودة في نفس كل شخص مطبوعة داخله، وهناك معاني مخترعة ينفرد الشاعر ويفوز بها، ثم

---

[1] امرئ القيس، الديوان، ص 442.

[2] طرفة ابن العبد، الديوان، شرح: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2002م، ص 57.

[3] حسان بن ثابت، الديوان، تحقيق: وليد عرفات، دار الصادر، بيروت، لبنان، دط، 2006م، ج1، ص 53.

[4] ابن طباطب العلوي، عيار الشعر، تحقيق: محمد زغلول سلام، دار منشأة المعارف، مصر، ط3، ص 126 – 127.

مع مرور الزمان تصبح متداولة بين الناس فيكثر استعمالها وتصبح كالأولى في الانتشار. [1]

وتعتبر هذه المسألة من أهم القضايا التي وقف عندها النقاد الأندلسيون أمثال: ابن شهيد، حيث انتشرت هذه المسألة انتشارا واسعا في العصر العباسي على غرار العصر الجاهلي الذي كان قليل التداول.

ويسمي ابن شهيد السرقة الأخذ، وهو يستعمله لمعان متعددة، بعضها يتصل بالسرقة المذمومة حاملا في طياته معنى قدحيا للكلمة، وبعضها الآخر لا يمت إلى هذه الدلالة المستخلصة بصلة وإنما يريد التقليد والتضمين أو الاقتباس أو ما شاكل ذلك من أنواع الاحتذاء. [2]

وقد أشار ابن شهيد إلى مسألة الأخذ في قوله: «حضرت أنا أيضا وزهير مجلسا من مجالس الجن فتذاكرنا ما تعاورته الشعراء من المعاني، ومن زاد فأحسن الأخذ». [3]

فأبو عامر يريد أن يبين لنا بأنه من زاد على المعنى الأول وأعاده في صورة أخرى، يعتبر هذا الأمر جائزا وليس عيبا وقد أحسن الأخذ.

يتلخص رأي أبو عامر في السرقة بقوله على لسان ابن الصقعب: «مررت بشيخ يعلم بنيا له صناعة الشعر وهو يقول له: إذا اعتمدت معنى قد سبقك إليه غيرك فأحسن تراكيبه وأرق حاشيته، فأضرب عنه جملة، وإن لم يكن بدفقي غير العروض التي تقدم إليها ذلك المحسن لتنشط طبيعتك، وتقوى منتك». [4]

---

[1] ينظر: الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ومحمد على البجاوي، منشورات المكتبة المصرية، دط، ص 184 – 185.

[2] ينظر: حدوش العياشي، حركة النقد الأدبي في قرطبة، مصر، دط، ص 170.

[3] ابن بسام الشنتيري، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ص 283.

[4] المصدر نفسه، ص 287.

فهو يبين لنا أن تناول معاني الأقدمين أمر طبيعي ولكن يجب البعد عن المعنى القديم الذي أحسن تركيبه وأجيد معرضه، ويقول ابن شهيد على لسان تابعه فاتك ابن الصقعب حين سأله قائلا: «فهل جاذبت أنت أحدا من الفحول؟ قلت نعم، قول أبي الطيب:

أأخلع المجد عن كتفي وأطلبه *** وأترك الغيث في غمدي وأنتجع»[1]

قال لي: بماذا؟ قلت بقولي:

ومن قبة لا يدرك الطرف رأسهـا *** تزل بها ريـــح الصبا فتحدر

اذا زاحمت منها المخارم صوبـت *** هو يا على بعد المدى وهي تجار

تكلفتهـــا والليل قد جاش بحره *** وقد جعلت أمواجه تتكســـر

ومن تحت حضني أبيض ذو سفاسق *** وفي الكف من عسالة الخط أسمر[2]

لقد أجاز ابن شهيد للسرقات الشعرية واشترط قاعدة للأخذ، وهي تغيير العروض والابتكار في المعنى فلا يعاب صاحبها لأنه أتى بالجديد.

[1] المصدر السابق، ص 288.

[2] ابن شهيد الأندلسي، الديوان، ص 108.

الفصل الثاني: رسالة التوابع والزوابع

1. مضمون الرسالة وسبب تأليفها
2. قيمتها الأدبية والنقدية
3. الآراء النقدية في الرسالة
   1.3. المعارضات
   2.3. السرقات

1) مضمون الرسالة وسبب تأليفها:

لم ينل ابن شهيد من أدباء وعلماء عصره إلا النقد، فأراد أن يثبت لنظرائه قدرته على الكتابة، فأبدع في رسالة التوابع والزوابع التي جعل مسرحها عالم الجن، واتخذ كل أبطالها من الشياطين.

«فالتوابع جمع تابع وتابعة، وهو الجني والجنية يكونان مع الإنسان يتبعانه حيث ذهب، والزوابع جمع زوبعة، وهو اسم شيطان أو رئيس الجن، ومنه سمي الإعصار زوبعة، إذ يقال فيه شيطان مارد كما جاء في قاموس المحيط». [1]

و«قال: "الحميدي" إن أبا عامر سمى عمله هذا شجرة الفكاهة، واختار الشاعر لفظة شجرة لأن الشجرة تحوي أغصانا كثيرة متفرعة بعضها عن بعض وفي جميع الجهات، وعمله هو الآخر يحوي شخصيات متنوعة، ومواقف متباينة وأماكن متعددة في أرض الجن، وإضافة لفظة شجرة إلى الفكاهة سببه أن الرسالة تحوي عددا من المواقف التي يندر فيها أبو عامر من خصوصه من توابع الشعراء والكتاب، وكذلك تندره بالإوزة وسخريته من توابع بعض معاصريه الذين شبههم بالحمير والبغال».[2]

رسالة التوابع والزوابع قصة خيالية يحكي فيها ابن شهيد رسالة في عالم الجن، فقد اتصل خلالها بشياطين الشعراء أنشدهم وأنشدوه، وعرض أثناء ذلك بعض آرائه في الأدب واللغة وكثيرا من نماذج شعره ونثره كما دافع عن فنه وانتزع من ملهمي الشعراء والكتاب الأقدمين شهادات بتفوقه وعلو كعبه في الأدب، كل هذا مع كثير من بث

[1] زكي مبارك، النثر الفن في القرن الرابع، ص 263

[2] محمد سعيد، دراسات في الأدب الأندلسي، دار الكتب العلمية، بنغازي – ليبيا، ط1، 2001م، ص 254.

الفكاهات ونثر الطرائف وإبداء الدعابات، وقد جرى بين ابن شهيد وبين ما كان يجدهم من مخلوقات في عالمهم مساجلات أدبية كانت تنتهي دائما بانتصاره في كل مرة. [1]

«حيث تعرفنا سابقا أن أبا عامر كان كثير الخصوم والحساد، ولقي منهم عنتا وأذية وضيما لم يصبر له، فانبرى بواقعهم ويناضلهم، وينتقص أدبهم، ويبسط آراؤه في المنظوم والمنثور والفن والجمال. فرسالة التوابع والزوابع لا تعدو هذا الغرض الذي يرمي إليه، وهو الطعن على أنداده ومنافسيه من الوزراء والأدباء، وأهل السياسة والقلم، ثم المنافحة عن أدبه بالرد على غمزات نقاده، ثم إظهار محاسنه وفضائله في المتقدمين و المتأخرين».[2]

«والتوابع والزوابع اسم رسالة نفسية – لم يبق منها إلا شذرات في كتاب مخطوط هو الذخيرة – ألفها أبو عامر بن شهيد الأندلسي، ولم نجد لها صدى يذكر في كتب القدماء، وأول من وجه نظرنا إليها هو المرحوم الأستاذ محمد المهدي في محاضراته بالجامعة المصرية سنة 1915، ثم عاد الدكتور أحمد ضيف فحدثنا عنها في سنة 1922، ومن رأي الدكتور ضيف أن التوابع والزوابع محاكاة لرسالة الغفران، وأن ابن شهيد كان يقلد أبا العلاء؛ لأنه أدرك عصره، ولأن شهرة أبي العلاء كانت ذائعة في المشرق والمغرب، وكان أهل الأندلس يقلدون أهل المشرق في كل شيء. وأقوى حجة عند الدكتور ضيف أن عصر ابن شهيد يندرج في عصر أبي العلاء؛ فقد عاش من سنة 382 إلى سنة 426، وعاش المعري من سنة 363 إلى سنة 449». [3]

وفي ضوء مقارنتها برسالة الغفران للمعري من حيث الموضوع والتشابه نجد الدكتور زكي مبارك يقول: «والواقع أن التشابه تامٌ بين الرسالتين، فالموضوع واحد، وهو عرض

---

[1] ينظر: عبد الله سالم المعطاني، ابن شهيد الأندلسي وجهوده في النقد، ص 47.

[2] ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص 70

[3] زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع، ص 263

المشكلات الأدبية والعقلية بطريقةٍ قصصية، والخلاف في جوهر الموضوع يرجع إلى روح الكاتبين: فأبو العلاء يحرص أولا قبل كل شيء على عرض المعضلات الدينيّة والفلسفيّة، وابن شهيد يحرص على عُرْض المشكلات الأدبية والبيانيّة ويتفق كلا الرجلين على التعريض بمعاصِريه، وشرح ما أخذ على المتقدّمين من أسّاطين العقل والبيان، والمسرح واحد تقريبًا: فهو عند ابن شهيد وادي الجن في الدنيا، وهو عند أبي العلاء وادي الإنس في الآخرة: أي الفردوس و الجحيم فالمتمثلون عند ابن شهيد جن يسخرون». [1]

وقد قسم أبو عامر رسالة التوابع والزوابع إلى مدخل وأربعة فصول: «فتحدث في مدخل رسالته إلى أبي بكر ابن الحزم فيذكر كيف تعلم ونبذ له عرق الفهم بقليل من المطالعة ثم ينتقل إلى خبر حبيب له مات فأخذ في رثائه، فارتج عليه، وإذا بجني اسمه زهير بن نمير يتصور له، ويلقي إليه بتتمة الشعر، رغبة في اصطفائه، كما تصطفي التوابع خلّانها، فتتأكد بينهما الصحبة، فأصبح كل ما سدت بوجهه مذاهب الكلام، يدعو تابعه بأبيات لقِنها عنه، فيمثل له، ويوحي إليه». [2]

أما بالنسبة للفصول ففي:

الفصل الأول رغب أبو عامر بملاقات أصحاب الشعراء فأخذ زهير إلى أرض الجن فالتقى بالجاهليين والعباسيين، منهم صاحب امرئ القيس وأبي الطيب المتنبي، يناظرهم. يقول بطرس البستاني: «يسأل أبو عامر صاحبه أن يزيره أرض التوابع والزوابع فيطير به على متن جواده، حتى ينزل واد الأرواح، فيزور صاحب امرئ القيس، وصاحب طرفة من الجاهليين، ويرغب في التحول إلى العباسيين مبتدئا بتابع أبي تمام، فيلقى في طريقه شيطان قيس بن الحطيم من شعراء الجاهلية. ثم يصير إلى توابع الطائيين وشاعر

[1] المرجع السابق، ص 265

[2] ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص 71 – 72

الحمرة، وينتهي به المطاف عند (خاتمة القوم) صاحب أبي الطيب المتنبي. وفي زيارته هذه يساجل الشعراء ويعارضهما ويذاكرهم، ويأخذ الإجازة منهم» .[1]

أما الفصل الثاني فقد أولاه للخطباء من الجن، حيث إلتقى بصاحبي الجاحظ وعبد الحميد اللذين أجازاه شاعرا وخطيبا «ويرغب أبو عامر في لقاء الكتاب ويدعوهم الخطباء ولولا شوقه إلى الشعراء لكانوا عنده أولى بالتقديم فيسير إليهم مع زهير وقد اجتمعوا في بعض المروج للمذاكرة، وفيهم تابع الجاحظ وتابع عبد الحليم فيأخذان عليه شغفه بالسجع فيدافع عن نفسه فيجد من صاحب عبد الحميد عنفا فيقابله بالطعن على بداوة أسلوبه فيبتسم له ويباسطه ثم يقرأ عليهما رسالة الحلواء فيضحكان منها ويستحسنانها» .[2]

ففي الفصل الثالث يستمر ابن شهيد في رحلته إلى أرض الجن ولكن هذه المرة مختلفة حيث تعرف على نقاد الجن فيقول: «وحضرت أنا أيضا وزهير مجلسا من مجالس الجن فتذكرنا ما تعاورته الشعراء من المعاني ومن زاد فأحسن الأخذ ومن قصر».[3]

وأتى في الفصل الرابع ذكر حيوان الجن يقول بطرس البستاني:« يسير أبو عامر وزهير في أرض التوابع والزوابع فيشرفان على نادي الحمير الجن وبغالهم وقد وقع الخلافة بينها في شعرين لحمار وبغل من عشاقها فتدعوه للحكم فيهما ويعرف من بينهن بغلة أبي عيسى في يتحدث إليها ويتذكران دار الإنس» .[4]

وقد كان في هذا الاجتماع إوزة تسبح فيخبره عنها زهير أنها تابعة لبعض الشيوخ ثم يمضي ابن شهيد بالحط من قيمة النحو والإعراب وأنه لا طريق للإوز دون موهبة فتسارع الإوزة إلى الطيران فيوقفها ويسألها البحث عمن هو أحمق من الإوز ليتناظرا حينها

---

[1] ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص 72

[2] المرجع نفسه، ص 72 – 73

[3] ابن بسام الشنتيري، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ص 283.

[4] ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص 74.

«فقالت: أيها الغار المغرور كيف تحكم في الفرع وأنت لا تحكم الأصول؟ ما الذي تحسن؟ قلت ارتجال شعر وقت واقتضاب خطبة على حكم المقترح والنصبة قالت ليس عن هذا أسألك قلت ولا بغير هذا أجاوبك قالت حكم الجواب أن يقع على أصل السؤال وأنا إنما أردت بذلك إحسان النحو والغريب الذين هما أصل الكلام قلت وبالجدل تتطلبيننا وقد عقدنا سلمه وكفينا حربه وإنما رميتك به منه لأنفذ سهامه وأحد حرابه وهو من تعاليم الله عز وجل عندنا في الجدل في محكم تنزيله. يا أم خفيف بالذي جعل غدائك ماء وحشى رأسك هواء ألا أيما أفضل الأدب أم العقل قالت بل العقل قلت فهل تعرفين في الخلائق أحمق من إوزة قالت: لا» .[1]

قيمتها الأدبية والنقدية:

تعد رسالة التوابع معرضا، يقدم ابن الشهيد من خلاله صورة للأدب والأدباء في عصره، ويقول عنها الدكتور مصطفى الشكعة: « عمل أدبي جليل الأثر لأنها ترجمان لنفسية الكاتب ومجتمع زمانه، وأما أسلوبها فرشيق فكه مصنوع موشى أنيق فيه سحر ورقة، وفيه شفافية، واستهواء، وفيه فكاهة باسمة وسخرية لاذعة» .[2]

وتبدو قيمتها من حيث أسلوبها الأدبي المتميز الذي تضمن ضروبا من المزج بين الشعر والنثر بأسلوب قصصي يتضمن أدب الحوار والمساجلة واستنطاق الحيوان مع طرائق تستهوي القارئ وتستميله بحيث لا يعتريه سأم ولا ملل حين يتابعها.[3]

نتيجة أسلوبها من سهولة ألفاظها وسلاستها، واستعمال المحسنات البديعية بشكل غير متكلف، وهي بهذه الخصائص تمثل نموذجا متميزا من نماذج الأدب الأندلسي في القرن الخامس هجري، وحاولت إثبات براعة تفوق أهل الأندلس، وتحقيق ذاتهم، بعد أن

---

[1] المرجع السابق، ص 151 – 152.

[2] مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، ص 682.

[3] ينظر: الشادلي بويحي، ابن شهيد الأندلسي حياته وشعره ونثره، مؤسسة عبد الكريم، تونس، دط، 1993م، ص 70.

واجهوا من المشرق ازدراء وإنكار لمكانتهم الأدبية، وقد استطاع ابن شهيد أن يصحح الفكرة التي تنفي إمكانية الجمع بين الشعر والنثر. [1]

ويرى الدارسون لأدب ابن شهيد بأنه كان الأسبق في التوابع والزوابع إلى قصة الخيال وأدب الرحلة إلى العالم الآخر فقد سبق المعري في غفرانه ودانتي في جحيمه فاشتهرت في المشرق كما في المغرب: «بدليل أن رسائل ابن شهيد ذاعت في الشرق ودونها المؤلفون الشرقيون قبل أن يموت وقبل أن توضع رسالة الغفران...». [2]

2) الآراء النقدية في الرسالة:

3-1: المعارضات الشعرية:

لا شك أن المعارضات الشعرية من المواضيع التي واكبت الأدب العربي بجميع عصوره، وسايرته منذ العصر الأندلسي على وجه الخصوص حتى وصلت إلى عصرنا هذا -فيما يعرف بالتناص-، واشتهرت في العصر الأندلسي هذه المعارضات أيما اشتهار، حتى كادت المعارضات الشعرية أن تكون سمة خاصة بالعصر الأندلسي دون غيره من العصور الأدبية لما ذاع من صيتها.

إن «المعارضة في الشعر أن يقول الشاعر قصيدة في موضوع ما، من أي بحر وقافية، فيأتي شاعر آخر، فيعجب بهذه القصيدة بجانبها الفني وصياغتها الممتازة، فيقول قصيدة من بحر الأولى وقافيتها وفي موضوعها، مع انحراف عنه يسير، أو أكثر حريصا، على أن يتعلق بالأول، في درجته الفنية أو يفوقه فيها دون أن يتعرض لهجائه أو سبه، ودون أن يكون فخره صريحا علانية، فيأتي بمعان أو صور بإزاء الأولى تبلغها

---

[1] ينظر: بشير خلدون، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، الشركة الوطنية للتوزيع والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص 23.

[2] زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع هجري، ص 320.

في الجمال الفني، أو تسمو عليها بالعمق، أو حسن التعليل أو جمال التمثيل، أو فتح آفاق جديدة في باب المعارضة». [1]

يلتقي ابن شهيد في رسالة التوابع والزوابع بأكبر الشعراء أمثال: البحتري، أبو تمام وأبو الطيب المتنبي، حيث يعارض كل منهم بقصيدة معينة، ومنها: معارضة البحتري، حيث إلتقى بتابعه، فيعارض قصيدة البحتري: [من البسيط] التي يقول فيها:

ما على الركب من وقوف الركاب

بقصيدة مطلعها: هذه دار زينب والرباب...

حتى انتهى فيها إلى قوله:

وارتكضنا حتى مضى الليل يسعى *** وأتى الصبح قاطـع الأسباب

فكأن النجوم في الليل جيـــش *** دخلوا للكمون في حوف غاب

وكأن الصباح قانص طيـــر *** قبضت كفــه برجل غراب

وفتو سروا وقد عكـــف الليـ *** ـل وأرخى مغدودن الأطنـاب [2]

ولذلك نلمح تشابها في معاني جزئية، بين القصيدتين فإذا قال البحتري في ممدوحه: [من الخفيف]

وَرَأَتَ عِنْدَ غَيْرِهِمْ مِنْ مَدِيحِي *** مِثْلَ مَا كَانَ عِندهُم مِن عِتَابي

ليسَ من غَضَبَةٍ عليهم ولكـن *** هو نجمٌ يَعلُو مع الكُتَّـــابِ

[1] أحمد الشايب، تاريخ النقائض في الشعر العربي، مكتبة النهضة، القاهرة، مصر، ط3، 1966م، ص 7.

[2] ابن بسام الشنتيري، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ص257.

شيعةُ السُؤودِ الغَريبُ وإخوانُ *** التَّصافِي وأســرةَ الآدابِ [1]

أسلوب البحتري في المدح، يميل إلى التقرير وهذا يتفق مع واقع الممدوح، وهو الأسلوب نفسه الذي اعتمده ابن شهيد في الفخر بنفسه، حيث قال: [من الخفيف]

من شُهيد في سِرِّها ثم أشْ *** جعَ في السِّر في لُباب اللُّبابِ

خطباء الأنام إن عن خُطبِ *** وأعاريـب في مشو عراب

وكان النجوم لما قد تهــم *** أشرف للعيون مــن آدابي [2]

وإذا قال البحتري في ممدوحه، وذكر حال معاصريه السيئة: [من الخفيف]

ترك الخفــض للدنيء وقاسي *** صعبة العيش في المساعي الصعاب

نتني عن معاشـــر لأسمى *** أولهـــــم إلا غذا باب

أخطأوا المكرمات والتمسوا قارعة *** المجـــد في غداة صباب[3]

وقال ابن شهيد، عن ظلم الدنيا له وغدر أبناء زمانه: [من الخفيف]

ولو أن الدنيا كريمــة تجر *** لم تكن طعمة تفترس الكلاب

وإذا ما نظرت ما خار غيري *** قل ما حملــه في ثيابي

جيفة أنســت فطار إليها *** من بني دهرها، فراخ الذباب [4]

[1] البحتري، الديوان، تحقيق: بدر الدين الحاضري، دار الشرف العربي، بيروت، دط، 1999م، ص 83.

[2] ابن شهيد الأندلسي، الديوان، ص 57.

[3] البحتري، الديوان، ص 86.

[4] ابن شهيد الأندلسي، الديوان، ص 86.

وان كان الحديث عن الدنيا لدى البحتري، يرد في معرض تفضيل ممدوحه على معاصريه، فإنه لدى ابن شُهيد خلاصة تجاربه وحياته، وهذه النظرة نجدها تتكرر، في كل أشعاره نظرة يائسة سوداء، نجدها على مستويين اثنين أولهما تشاءم شخصي نابع من تقلبات الحياة وتغيير أحوالها، والثاني تاريخي عام ناتج عن الاضطرابات السياسية التي عرفها الأندلس. [1]

ويلاحظ أن ابن شهيد لم يضع نماذج معينة ليقوم بمحاكاتها في شعر أبي تمام، وإنما قدم ما يثبت له القدرة على تقليد مذهبه من خلال، التشخيص المتكرر للزمان، واستعمال أدوات البديع، كالجناس والمطابقة.

والشعراء الأندلسيين في رسالة ابن شهيد مستبعدين تماما، وقد اكتفى بنفسه كممثل لهم، فهو يرى أنه الشاعر الأندلسي الوحيد الذي يمكن أن يقارن بالمشارقة.

وفي ذلك نصيب لأمرئ القيس، فعارضه بقصيدة مشهورة مطلعها:

سما لك شوق بعدما كان أقصرا

بقصيده مطلعها:

شجته مغان من سليمى وأدور.

فنجد أن أبا عامر عارض امرئ القيس في الوزن والقافية، فكلاهما على قافية الراء ومن بحر الطويل وقد تطابقت التفعيلات تماما، حيث أعجب تابع امرئ القيس (عتيبة) بأبي عامر حينما أنشده شعره «فعندما انتهى تأمله عتيبة، ثم قال له: اذهب فقد أجزتك». [2]

[1] ينظر: إيمان السيد احمد الجمل، المعارضات في الشعر الأندلسي، ط1، 2006م، ص 343.

[2] ينظر: ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص 92.

كما عارض طرفة في قوله:

بحزان الشريف طلول *** تلوح، وأدنى عهدهن محيل [1]

بقوله في قصيدة وصل إلينا شطر من مطلعها:

أمن رسم دار بالعقيق محيل [2]

فقد نظم الشاعران شعرهما على بحر الطويل وتطابقت التفعيلات، ويظهر على هذه القصيدة التي سبقتها قوة الألفاظ ذات الجرس الموسيقي. ويبدو أن قيس ابن الخطيم، حينما سمع شعر أبي عامر أعجب به وأجازه، يقول أبو عامر: «فلما انتهيت تبسَّم وقال: لَنِعْمَ ما تخلّصتَ! اذهب فقد أجزتُك» .[3]

وآخر شاعر جاهلي عارضه هو قيس بن الخطيم في قوله:

طعنت ابن عبد القيس طعنة ثأر *** لها نفذ لولا الشعاع أضاءها [4]

بقوله في قصيدة مطلعها:

منازلهم تبكي إليك عفاءها *** سقتها الثريا بالعري نحاءها [5]

فالقصيدتان بنيتا على بحر الطويل، ولكن ما يلاحظ هو تغيير طفيف في التفعيلات، وهذا ما يدل أن أبا عامر يملك القدرة على المعارضة.

---

[1] طرفة ابن العبد، الديوان، تحقيق: د. محمد محمود، دار الفكر اللبناني، بيروت، دط، 1994م، ص 112.

[2] ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص 94.

[3] المرجع نفسه، ص 97.

[4] قيس بن الخطيم، الديوان، تحقيق: د. ناصر الدين الأسد، دار صادر، لبنان، ط1، 1967م، ج1، ص 7.

[5] ابن شهيد الأندلسي، الديوان، ص 82.

ولم يكتف أبو عامر بمعارضته للشعراء، بل لم يسلم الكتاب من ذلك، حيث حاول أن يؤكد تفوقه في مجال النثر بمعارضة الجاحظ وعبد الحميد وبديع الزمان، فقابل بأرض الجن زبدة الحقب صاحب بديع الزمان، فكانت لهما مقابلة في وصف الماء التي أبدع ابن شهيد ثم قال:

«ضرب زبدة الحقب برجله، فانفرجت له عن مثل برهوت، وتدهدى إليها، واجتمعت عليه، وغابت عينه، وانقطع أثره. فاستضحك الأستاذان من فعله، واشتد غيظ أنف الناقة علي». [1]

وهكذا يرد على صاحب الجاحظ بكلام على طريقة الجاحظ وعلى صاحب عبد الحميد بكلام يماثل به طريقة عبد الحميد، ومن ذلك رسالته في الحلواء، حيث استحسنا سجعه فيها: «وقالا: إن لسجعك موضعا من القلب، ومكانا من النفس، وقد أعرته من طبعك وحلاوة لفظك». [2]

فالشاعر الذي يريد أن يظهر نجمه في الساحة الأدبية، عليه أن يعارض كبار الشعراء في شعره كي يبلغ منزلة الشعراء الذين سبقوه، وهذا ليس بتقليد كما ذهب إلى ذلك بعض الدارسين.

3-2: السرقات:

سرقة الشعراء لمعاني وألفاظ غيرهم من أكبر القضايا التي لا يمضي كتاب دون التطرق إليها.

بعض أبيات تدل على وجود سرقات شعرية في العصر الجاهلي، حيث يقول طرفة بن العبد من [الطويل]

---

[1] ينظر: ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص 129.

[2] المرجع نفسه، ص 122.

ولا أغير على الأشعار أسرقها *** عنها غنيت وشر الناس من سرقا[1]

ونجد في بعض الأحيان مجموعة من الشعراء تعمد إلى أبيات غيرها فتأخذها كلها مع تغيير بسيط في كلمه أو كلمتين من مجموع القصيدة، مثل ما قال النابغة: من [البسيط]

لو أنها عرضت لأشمط راهب *** عبد الإله صرورة متعبد. [2]

وأخذ ربيعة بن مفروم معناه فقال:

لو أنها عرضت لأشمط راهب *** عبد الاله صرورة متعبد

هناك معان مشتركة ومتداولة بين الناس، بحيث إذا وردت في أشعار الشعراء لا تعد مذمة في شعرهم كتشبيه الحسن بالشمس والبدر والجواد بالغيث والبحر، فهي معاني موجودة في نفس كل شخص مطبوعة داخله، يشترك فيها الناطق والأبكم والفصيح والبليغ، وهناك معاني مخترعة يتفرد الشاعر ويفوز بها، ثم مع مرور الزمان تصبح متداولة بين الناس فيكثر استعمالها وتصبح كالأولى في الانتشار. [3]

ففي هذه المعاني تحدث السرقة وأطلق عليها بعض النقاد اسم الاستعارة من باب التساهل والتخفيف، والسرقة كانت تعيب من الشاعر وتنزل من منزلته، لكن الأمر اختلف عند الكثيرين كالآمدي، حيث يقول: «إن من أدركتهم من أهل العلم بالشعر لم يكونوا يرون سرقات المعاني من كبير مساوئ الشعراء». [4]

---

[1] طرفة بن العبد، الديوان، ص 70.

[2] النابغة الذبياني، الديوان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1416هـ، 1996م، ص 31.

[3] ينظر: الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص 184 – 185.

[4] المصدر نفسه، ص 291.

ومسألة السرقات الشعرية من أهم القضايا التي تناولها ابن شهيد ودافع عنها، ووضع شروط وقضايا معينة لمسألة السرقة أو الأخذ، حيث يشغل موضوع السرقات الشعرية حيزا كبيرا في النقد العربي.

ورأي ابن شهيد في السرقة يتلخص في قوله على لسان ابن صقعب: «اذا اعتمدت معنى قد سبقك إليه غيرك فأحسن تركيبه، أرق حاشيته فاضرب عنه جملة، وإن لم يكن بدفعي في غير العروض التي تقدم إليها ذلك المحسن لتنشط طبيعتك وتقوي منتك» .[1]

ابن شهيد يشير هنا إلى مسألة نقدية مهمة، وهي أن تناول معان الأقدمين أمر مشروع وطبيعي لكن يجب البعد عن المعنى القديم الذي أحسن تركيبه وأجيد معرضه اللفظي، فاكتسب خصوصيته، أما النقل إلى عروض مغايرة يباعد الأخذ ويخفيه، وفي الوقت نفسه يفتح المجال لصيغة جديدة والشاعر الفحل هو الذي يجعل الشعر صناعة له، فتنشط طبيعته وتقوى، يدل على صدق رأيه بما ذكره من فشل عمر بن ربيعة في أخذ معنى امرئ القيس: [من الطويل]

سموت إليها بعد ما نام أهلها *** سمو حباب الماء حالا على حالي[2]

على نفس وزنه فقال: [من الطويل]

ونفضت عني النوم أقبلت مشية *** الحباب وركني خيفة القوم أزور[3]

فأساء قسمة البيت وأراد أن يلطف التوصل فجاء مقبلا بركن كركنه أزور.

وابن أبي ربيعة لو ركب غير عروضه لخلص، فقلت أنا في ذلك: [من المتقارب]

---

[1] ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ص 244.

[2] امرئ القيس، الديوان، المكتب الإسلامي، دمشق، عمان، ط1، 1419هـ – 1998م، ص 6.

[3] عمر ابن أبي ربيعة، الديوان، شرح: د يوسف شكري فرحات، دار الجيل، لبنان، بيروت، ط1، 1385هـ – 1966م، ص 133.

ولما تملأ من سكره *** فنام ونامت عيون العسس

دنوت إليه على بعده *** دونو رفيق ما التمس

أدب إليه دبيب الكرى *** وأسمو إليه سمو النفس [1]

فبيت امرئ القيس وعمر بن أبي ربيعة يشتركان في بحر الطويل، أما أبيات ابن شهيد فمن بحر متقارب، وينتقد ابن شهيد بيت عمر بن ربيعة بسوء تقسيمه إذ لم يخلص كل شطر منه بمعنى مستقل، وجاء البيت مدورا ويشير ابن شهيد في رسالة التوابع والزوابع حول معنى عرفه المشارقة، وتردد في كتبهم الحديث عنه فقال: «وحضرت أنا وزهير مجلسا من مجالس الجن فتذكرنا ما تعاورته الشعراء من المعاني ومن زاد فأحسن ومن قصر». [2]

فبين لنا اعتقاده بأن عمل الشعراء يكون في المعاني وأن تعاقب الشعراء عليها أمر طبيعي، وأن الأخذ مشروع، ومن يزيد على المعنى الأول يكون قد أحسن الأخذ ومن يقصر يكون قد أساء ومما يدل على مشروعيته لهذا العمل عدم استخدامه لإصلاح السرقة في هذا المقام، وكذلك في تعليقه على تعاور الشعراء الذي افتتحه الأفوه الأودي بقوله:

وترى الطير على أثارنا *** رأي عين ثقة أن ستمار [3]

وتناول النابغة بقوله: [من الطويل]

اذا ما غزوا بالجيش حلق فوقهم *** عصائب طير تهتدي بعصائب

---

[1] ابن شهيد الأندلسي، الديوان، ص 313.

[2] ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ص 244 – 245.

[3] ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص 132.

تراهن خلف القوم خزرا عيونها *** جلوس الشيوخ في ثياب المرانب

جوانح قد أيقن أن قبيلـــه *** إذا ما التقى الجيشان، أول غالب[1]

وكذلك قال فيه أبو نواس [من الكامل]

تتأيا الطير غدوته ثقة بالشبع من جزره [2]

وقال أبو تمام:

وقد ظللت عقبان أعلامه ضحى *** بعقبان طير في الدماء نواهل

أقامـت مع الرايات حتى كأنها *** من الجيش إلا أنها لم تقابـل [3]

وقال صريع الغواني: [من الرجز]

قد عود الطير عادات وثقنا بها *** فهن يتبعنه في كل مرتحل [4]

ويعلق على لسان شمردل السحابي: قائلا: كلهم قصر عن النابغة لأنه زاد في المعنى ودل على أن الطير إنما أكلت أعداء الممدوح، وكلامهم كله مشترك يحتمل أن يكون ضد ما نواه الشاعر، وإن كان أبو تمام زاد في المعنى. وإنما المحسن المتخلص المتنبي حيث يقول:

له عسكرا خيل وطير إذا رمي *** بها عسكرا لم تبق إلا جماجمه [5]

---

[1] النابغة الذبياني، الديوان، ص 57.

[2] أبو نواس، الديوان، تحقيق: أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، دط، ج1، ص 431.

[3] أبي تمام، الديوان، دار المعارف، تحقيق: محمد عبد العلام، القاهرة، ط2، ج2، ص 82.

[4] صريع الغواني، الديوان، دار المعارف، مصر، ط2، 1970م، ص 12.

[5] ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص 133.

و«كان بالحضرة فتى حسن اليزة، فاحتد لقول شمردل فقال: الأمر ما ذكرت يا شمردل، ولكن ما تسأل الطير إذا شبعت القبلين؟ الغالب وأما الطير الآخر فلا أدرى، لأي معنى عافت الطير الجماجم دون عظام السوق والأذرع والفقرات والعصاعص؟

ولكن الذي خلص هذا المعنى كله وزاد فيه، وأحسن التركيب، ودل بلفظة واحدة على ما دل عليه شعر النابغة وبيت المتنبي، ومن أن القتلى التي أكتلها الطير أعداء الممدوح فاتك بين الصقعب في قوله: [من الطويل]

وتدري سباع الطير أن كماته *** إذا لقيت صيد الكماة سباع

لهن لعاب في الهواء وهزة *** إذا جد بين الدرعين قراع

تطير جياعا فوقه وتردها *** ضباه إلى الأوكار وهي شباع

فاهتز المجلس لقوله: "وعلموا صدقه فقلت: لزهير من فاتك ابن الصقعب؟ قال: يعني نفسه"». [1]

وفي هذا نلاحظ أن ابن شهيد يخرج منتصرا مجازا كما هي عادته والملاحظ أن شعره في الطير، وإن كان جميلا إلا أنه لم يبلغ الجودة التي بلغتها أبيات النابغة، مسلم بن الوليد وأبي تمام، وفي هذا دليل على أن أحكامه ذاتية تهدف إلى شخصيته، واللذان أحسنا غاية الإحسان في المعنى هما: النابغة وأبو تمام لأنهما اهتما بكثرة الطير، التي تدل على كثرة القتلى، وكذلك بيت المتنبي فيه شيء من ذلك، وقد لقى هذا المعنى عناية من النقاد القدامى، فوقف عنده الآمدي أثناء حديثه عن سرقات أبي تمام وحكم بأخذ أبي تمام من مسلم بن الوليد، وعلق بقوله: «فأتى أبي تمام في هذا المعنى بزيادة في قوله: إلا أنها لم تقاتل. وجاء به في بيتين وأخطأ أيضا في المعنى بقوله: في الدماء نواهل...

[1] المرجع السابق، ص 134.

والعقبان لا ترب الدماء، وإنما تأكل اللحم، وقد ذكر المتقدمون هذا المعنى فأول من سبق إليه الأفوه الأودي...». [1]

تعد رسالة التوابع والزوابع من أهم وأشهر مؤلفات ابن شهيد، وذلك لضمها آرائه النقدية والأدبية مع اصطباغها بطابع قصصي مليء بالخيال مما يجعلها تندرج ضمن نوادر التراث العربي وتتمتع بأسلوب فريد ورائع قلما نجده في غيرها من الرسائل الأدبية، وذلك لعرضها جملة من الرؤى النقدية عبر مناظرات أدبية بين كل من ابن شهيد وتوابع بعض الشعراء والكتاب ونقاد الجن.

[1] الآمدي، الموازنة بين أبي تمام والبحتري، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، ط4، 470هـ، ص 65 – 66.

الخاتمة

ابن شهيد عجيب عصره، فاق معاصريه بآراء بديعة فَطَرَ بها نمط ومنهج نقدي في رسالة التوابع والزوابع، كان نتيجة دراستنا للقضايا النقدية للرسالة. والتي استخلصناها في النقاط الآتية:

- بلغ أرفع منزلة بين الأدباء بالنيل من أبرز الشعراء والكتاب المشهود لهم، بإثبات براعته في الأدب والنقد، حيث يظهر دفاعه عن نفسه من خلال رسالته التوابع والزوابع، وان كان بحكم يذكره على لسان صديقه.
- الرسالة رحلة إلى عالم الجن، حيث توابع الشعراء والخطباء من الذين سبقوا ابن شهيد أو الذين يعاصرهم.
- سار ابن شهيد على خطى سابقيه، من خلال التقاء البشر بالجن.
- أبدع باستحداث عمل قصصي خيالي في رحلة أدبية جميلة، فكان الدافع شخصي في كتابته للرسالة يهدف تبيان مكانته بين معاصريه.
- ظهرت وفرة وسعة اطلاعه في رسالة التوابع والزوابع بتعدد الشخصيات والمواهب.
- امتزجت لغة الرسالة بين الجد والسخرية ففي محاورتة للبغلة والإوزة يظهر أحيانا الجد وأحيانا أخرى الهزل.
- أجاز السرقة تحت مسمى الأخذ بشرط أن يزيد عليه ويحسن تركيبه.
- وحد اللفظ والمعنى في علاقة ضرورية لجمال الصورة الأدبية.
- تميز ابن شهيد عن باقي معاصريه بمعارضته لأدب المشارقة.
- موقف ابن شهيد من المعلمين والمؤدبين هو موقف كراهة وسخرية بآرائهم ورفضه لهم.
- البيان عند ابن شهيد هبة من الله يهبها لمن يشاء والكن اشترط في اللذين يطلبون البيان الجد والمثابرة.

قائمة المصادر والمراجع

- الآمدي، الموازنة بين أبي تمام والبحتري، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، ط4، 470هـ.
- البحتري، الديوان، تحقيق: بدر الدين الحاضري، دار الشرف العربي، بيروت، دط، 1999م.
- الثعالبي، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق: الدكتور مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1403هـ - 1983م، ج2.
- الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، دط، 1972م، ج1.
- الجاحظ، الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، المكتبة العصرية، بيروت، 1385هـ - 1964م، ج3.
- الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ومحمد علي البجاوي، منشورات المكتبة المصرية، دط.
- بن الخطيم قيس، الديوان، تحقيق: د. ناصر الدين الأسد، دار صادر، لبنان، ط1، 1967م، ج1.
- الداية محمد رضوان، تاريخ النقد الأدبي في الأندلس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1414هـ - 1993م.
- الشايب أحمد، تاريخ النقائض في الشعر العربي، مكتبة النهضة، القاهرة، مصر، ط3، 1966م.
- الشنتيري ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1997 م، الجزء الأول، المجلد الأول.

- العلوي ابن طباطب، عيار الشعر، تحقيق: محمد زغلول سلام، دار منشأة المعارف، مصر، ط3.
- الغواني صريع، الديوان، دار المعارف، مصر، ط2، 1970م.
- الفاخوري حنا، تاريخ الأدب العربي، الجامعة الأميركية، بيروت، ط2، 1953م.
- المعطاني عبد الله سالم، ابن شهيد الأندلسي وجهوده في النقد الأدبي، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، دط.
- النابغة الذبياني، الديوان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1416هـ، 1996م.
- امرئ القيس، الديوان، المكتب الإسلامي، دمشق، عمان، ط1، 1419هـ – 1998م.
- امرئ القيس، الديوان، دار الكتب العلمية، 1971م، بيروت، لبنان.
- احمد الجمل إيمان السيد، المعارضات في الشعر الأندلسي، ط1، 2006م.
- بويحي الشادلي، ابن شهيد الأندلسي حياته وشعره ونثره، مؤسسة عبد الكريم، تونس، دط، 1993م.
- أبي تمام، الديوان، دار المعارف، تحقيق: محمد عبد العلام، القاهرة، ط2، ج2.
- بن ثابت حسان، الديوان، تحقيق: وليد عرفات، دار الصادر، بيروت، لبنان، دط، 2006م، ج1.
- حدوش العياشي، حركة النقد الأدبي في قرطبة، مصر، دط.
- خفاجي محمد عبد المنعم، الأدب الأندلسي "التطور والتجديد"، دار الجبل، بيروت، ط1، 1412هـ – 1992م.

- خلدون بشير، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، الشركة الوطنية للتوزيع والتوزيع، الجزائر, 1981م.
- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، دط، 1398هـ – 1978م، المجلد الأول.
- ابن سعيد (المغربي)، المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط2، ج1.
- سعيد محمد، دراسات في الأدب الأندلسي، دار الكتب العلمية، بنغازي – ليبيا، ط1، 2001م.
- ابن شهيد (أبو عامر)، ديوان، تحقيق: يعقوب زكي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، دط، دس.
- ابن شهيد (أبو عامر)، رسالة التوابع والزوابع، تحقيق: بطرس البستاني، دار صادر، بيروت، ط3، 1431هـ –2010م.
- طرفة ابن العبد، الديوان، شرح: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2002م.
- عباس إحسان، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ط1، 1997م.
- عباس إحسان، تاريخ النقد الأدبي عند العرب "نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري"، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط1، ط2، 1391هـ – 1971م / 1398هـ – 1978م.

- عمر ابن أبي ربيعة، الديوان، شرح: د يوسف شكري فرحات، دار الجيل، لبنان، بيروت، ط1، 1385هـ – 1966م.
- ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، 1377هـ – 1958م، ج1
- مبارك زكي، النثر الفني في القرن الرابع الهجري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، 1371هـ – 1952م.
- أبو نواس، الديوان، تحقيق: أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، دط، ج1.
- هدارة محمد مصطفى، مشكلة السرقات في النقد العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، دط، 1958م.
- هيكل أحمد، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، دار المعارف، القاهرة، دط، 1985.

فهرس الموضوعات

المقدمة	1
المدخل: ابن شهيد مولده ونشأته	6
1.حياته	6
2.شعره ونثره	14
2.أ. شعره	14
2.ب. نثره	19
3.مؤلفاته	22
الفصل الأول: آراؤه النقدية	
1.مسألة البيان	28
2.اللفظ والمعنى	33
3.السرقات الأدبية	36
الفصل الثاني: رسالة التوابع والزوابع	
1.مضمون الرسالة وسبب تأليفها	41
2.قيمتها الأدبية والنقدية	45
3.الآراء النقدية في الرسالة	46
1.3. المعارضات	46
2.3. السرقات	51
الخاتمة	59
قائمة المصادر والمراجع	61
الفهرس	66

الملخص:

فابن شهيد موضوع بحثنا استطاع بفضل ثقافته وآراءه النقدية التي تضمنتها رسالة التوابع والزوابع أن ينافح أقرانه من النقاد ويثبت لنفسه قدم راسخة في مجال النقد، ويخلق لنفسه منهجا نقديا طريفا في تضمينه لقواعد النقد في رسالته.

ABSTRACT

Ibn Shahid, the subject of our research, was able, thanks to his culture and critical opinions contained in the message of The Followers and Whistles, to fight his peers from critics and prove to himself a firm foot in the field of criticism, and create for himself a funny critical approach in including the rules of criticism in his message.